السنة الثالثة عشرة　　العدد ١١ تشرين الثاني　　سنة ١٩١٠

المشرق

فتوح الصين

لرائد العلم وبطل الدين

نظر تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

وافقت سنتنا الحاضرة تذكار المئة الثالثة لوفاة احد ابطال الدين وروّاد التمدُّن الذي فتح بلاد الصين للامم الغربية فعرَّف اهل اوروبة بمالك اعظم شأناً وارقى مدنيَّةً واكثر عدداً من اميركة وسكّانها. نعني بهِ المرسل الايطاليّ الاب ماتيو (متى) رتشي سليل الرهبانية اليسوعية الذي اراد اهل وطنهِ ان يقيموا لذكرهِ في هذا العام محفلًا حافلًا عدَّدوا فيهِ مناقبهُ واطرأوا محامدهُ وذكروا ما تكلَّفهُ من المشقات قبل حصولهِ على اقصى امانيهِ من فتح ابواب الصين الموصدة في وجه الاجانب عموماً والاوربيين خصوصاً. وها نحن في هذه المقالة نروي شيئاً من مآثرهِ ونبيّن كيف اتّصل بعلومهِ الى عاصمة مملكة السماء. وما اداهُ ثمَّ للدين من الخدم المشكورة. ولا بدَّ قبل تفصيل الخبر من المقدمات ليظهر منها فضل صاحب الترجمة

الصين قبل دخول اليسوعيين اليها

كتبنا في المشرق (٣: ٧٤٣ و٨١٥) مقالتين في تعريف الصين واهلها وخلاصة تاريخها ووصف اديانها صدَّرناهما بخارطة ملوَّنة فنحيل القرَّاء الى ما سبق لادراك ما سيأتي

انَّ الصين لموقعها في اقاصي الشرق بقيت قروناً عديدة كلغز العالم القديم فنشأت هناك دول كبيرة وجرت حوادث عظيمة ما كان يبلغ من اصداء انبائها الَّا رنّات

خفيفة ضعيفة حتى آذان الدُّول الكبرى التي بسطت سيطرتها من اواسط آسية الى غربيِّها حتى نواحي اوربةَ

وكان الصينيون في بلادهم الواسعة الارجاء يجدون ما يفي بحاجاتهم لا ينوون تعدّي تخومهم لتوسيع نطاق ممالكهم وانما كانوا يفرغون كنانة المجهود ليصرفوا عنهم مطامع الامم الاجنبية التي كانت تبلغهم اليهم اخبار فتوحاتهم. وكأنَّ الله كان جعل للصين حصناً طبيعياً يردُّ عنها غارات المادين ففصلها عن العالم القديم شرقاً وجنوباً ببحار زاخرة لا يخوض اعبابها غير الذين باعوا نفوسهم رخيصةً وحصّنها شمالاً وغرباً بمفاوز مجدبة وصحاري محرقة وجبال شاهقة لا يكاد يعرفها سوى عشائر قليلة من الشذَّاذ والهمج اللهمَّ الَّا قبائل التتر واجيال المغول الذين كانوا في جوارها فناجزوها القتال واذاقوها الأَمرَّين

امَّا الامم البعيدة فغاية ما كانت تعرفهُ من امر الصين بعضُ مرافقها وأعراضها التجاريَّة ولاسيما الحزّ الذي كانت تنقلهُ اليها القوافل بعد الاسفار الطويلة. وكذلك استفاد اهل الغرب شيئاً عن احوال الصين ممن دخلها من دُعاة الدين النصراني في القرون الاولى للمسيح (راجع المشرق ٣ : ٨٤٣) وخصوصاً في القرن السابع على ايدي بعض النساطرة الذين انشأُوا في الصين كنائس تقلَّبت احوالها مدَّة نحو ٦٠٠ سنة ثم بهمَّة المرسلين الكاثوليك من رهبان القديسين فرنسيس ودومنيك في القرنين الثالث عشر والرابع عشر. وزادنا علماً بالصين اهل الاسفار من عرب كالتاجر سليمان في القرن التاسع وابن بطوطة في القرن الرابع عشر ومن سريان كرُبان صوما في القرن الثالث عشر واوائل الرابع عشر ومن فرنج كماركو پاولو في الوقت عينهِ. فنجد في رحلاتهم التي نُشرت بالطبع فوائد جمَّة لخصنا بعضها في مقالتنا السابق ذكرها

وممن سهَّلوا المواصلات بين اقاصي الشرق والبلاد الغربية سلالة المغول المعروفة باسم «يوان» فانَّ التتر والمغول منذ النصف الاوَّل من القرن الثاني عشر كانوا يطمحون بنظرهم الى ممالك الصين ليستولوا عليها فلم يزالوا يزاحمون ملوكها ويضيفون الى دولهم اقساماً من ولاياتها حتى فتحها قوبلاي خان حفيد جنكزخان وضبط زمام ملكها سنة ١٢٨٠ وجعل عاصمتهُ مدينة خان بالق واسمها بالصينيَّة باكين اي قصر الشمال. وكان قوبلاي وخلفاؤهُ يكرمون النصارى ويطلقون لدعاتها الحريَّة لنشر دينهم.

فامتدَّت النسطوريَّة في عدَّة مدن وكان لاصحابها كنائس وصفها الرحَّالة ماركو پاولو . وكذلك نالت الكثلكة بفضل هذه السلالة المغوليَّة سهماً فائزاً فانشأ الرهبان الفرنسيسيُّون والدومنيكان رسالاتٍ مختلفة دعوا فيها اهل الصين الى ايمان المسيح ونما عددهم حتى انشأ الاحبار الرومانيون كرسيَّين لسقفيَّين في باكين ثم في زيتون من اعمال ولاية فوكيان . واتت تلك الرسالات بأثمارها اليانعة الى ان عاد الملوك الصينيُّون الوطنيُّون فاسترجعوا ملك اجدادهم وصار الامر في ايدي السلالة المدعوَّة « منغ » فملكت من السنة ١٣٦٨ الى ١٦١٦ . وكان اهلها يتشدَّدون على الاجانب ويبذلون طاقة جهدهم في نفيهم والتضييق عليهم حتى لم يبقَ من النصرانيَّة غير الآثار القليلة

وفي عهد هذه السلالة اتخذ الصينيُّون كل الوسائل ليحصِّنوا مواطنهم في وجه الغربيين حتى انقطعت عن اهل اوربة اخبارهم واضحوا نسياً منسياً كاميركة قبل اكتشاف كرستوف كولب الَّا ان التجار البرتغاليين بعد الجهاد الطويل امكنهم ان يحصلوا على قطعة من الارض في مدينة ماكاو الساحلية كانوا يتاجرون فيها مع تجار الصين على شروط حرجة لا تسمح لهم بمخالطة اهل البلاد وبالخروج عن دائرتهم الضيقة

٢ رائد العلم

تلك كانت حالة الصين اذ قدم الى اليابان ذلك الرسول العظيم الذي اغنى كنيسة المسيح بعدد عديد من المؤمنين عزَّاها عمَّا فقدتهُ في اوربة بمساعي البدع البروتستانيَّة نريد بهِ القديس فرنسيس كسافاريوس . فبعد أن بشر الذكور في اقطار الهند وعمَّد الالوف المؤلفة من الوثنيين في عدَّة ممالك وطاف في جهات اليابان وصبغ بعض ملوكها بماء المعموديَّة تحقَّق انَّ اهل اليابان يدرجون مدارج الصين فان امكنهُ ان يقنع الصينيين بصحة دين المسيح سهل عليهِ نشر النصرانيَّة في جزائر اليابان فسعى لدى ملك البرتغال ليرسلهُ بصفة سفير الى ملك الصين ولولا عوائق اعترضتهُ في طريقهِ لسوء تصرُّف احد عمَّال البرتغاليين لكان حصل على مرغوبهِ وشيكاً ومع هذا لم يكفَّ عن عزمهِ بل ركب تلك البحار وتجشَّم الاخطار حتى وصل الى جزيرة سانسيان بازاء سواحل الصين فمات هناك كموسى الكليم امام ارض الميعاد مقدِّماً لله اتعابهُ ليقوم بعض اخوتهِ الرهبان فينجزوا ما باشر هو بهِ وحال موتهُ دون اتمامهِ (٢ ك ١ سنة ١٥٥٢)

فكان دعاء فرنسيس كسهم رشق السماء فحنن قلب الله على تلك الامم المتسكعة في ظلمة الشرك . وسمعهُ اخوتهُ اليسوعيون فاخذوا يسعون في اقتفاء آثار رائد قومهم وطليعة جيشهم . فبعد وفاته بثلاث سنوات اراد الاب ملكيور بارّتو (Barreto) رئيس الرسالة الهنديَّة في سفرهِ الى اليابان ان يمرَّ على الصين فوصل الى جزيرة سنسيان فاتخذهُ عمّال الصين والبرتغاليون كوسيط بينهم لمبادلة أسرى الدولتين فحظي بذلك عند الصينيين حتى سمحوا لهُ بان يذهب الى كانتون مقام احد نوّاب الملك ويسكن فيها نحو شهر فعُدَّت هذه الرخصة كمنحة لا سابق لها . بل نال ذلك دفعتين أخريين في السنين التالية لهُ ولبعض التجار البرتغاليين حتى جرت مذ ذلك الحين كعادة ان يقضي اولئك التجار شهرًا من السنة في كانتون . فكتب الاب بارّتو الى اوربَّة مخبرًا بهذا الامر واردف كتابهُ بوصف ما لحظهُ من عادات الصينيين واحوالهم في دينهم ودنياهم

فكان لهذا النبإ احسن موقع في قلوب الاوربيين اجمالًا فعقدوا الآمال بقرب انفتاح ابواب الصين لمعاملات الغربيين . وزاد املهم قوَّةً بما أُتيح لاهل البرتغال في ذلك الوقت ان يوسّعوا في ماكاو نطاق اعمالهم فأُعطوا ارضًا واسعة سمحوا لهم ان يتّخذوها كمستعمرة يسكنونها ويقضون فيها كل اعمالهم التجاريَّة ولكن أُقيم في وجههم سُدٌّ لم يسمحوا لهم بمجاوزتهِ جعلوا فيهِ بابًا واقاموا عليهِ حجّابًا لئلا يختلط اهل الصين بالاجانب فما لبثت هذه المستعمرة ان نمت وازهرت وكثر فيها التجار البرتغاليون وابتنى فيها المرسلون ديرًا خدمةً لمواطنيهم ورجاء بقرب الدخول في انحاء الصين بل تجوَّل بعضهم في ولاياتها سرًّا الّا انَّ انتظارهم لم ينل مفعولهُ التامّ الّا بعد ربع القرن

وفي السنة ١٥٧٤ تولّى رئاسة المرسلين اليسوعيين في الهند واليابان رجل مقدام كان اصلهُ من اسرة شريفة في ايطالية يُدعى اسكندر ڤالنيانو (Alex. Valignano) فهذا ابحر الى الهند مع اربعين مرسلًا ووزَّع قسمًا منهم في انحاء الهند للتبشير واخذ القسم الآخر الى اليابان . فلمَّا أرست سفينتهم في ماكاو منتظرةً لموسم الرياح الوافقة للسفر اخذ الرئيس الجديد يبحث عن الوسائل للولوج في الصين وانارة اهلها بضياء الايمان فاستحرّ بالصلاة واستشفع بأدعية رسول اليابان ولزم انواع التقشفات ليفوز بالغاية المبتغاة . فكأنَّ الله اوحى اليهِ بقرب تحقيق امانيهِ فوكل الى احد ابناء وطنهِ الاب ميشال روجياري (Ruggieri) بأنْ يُوطّن نفسهُ على لغة الصين واخلاقها ليدخل

قريباً ان شاء الله في قلب الصين . وكان لهذهِ الغاية ارسل سابقاً الى ايطالية يستدعي منها احد تلامذته الذي كان اخذ عنهُ العلوم وطاب على يدهِ الترهُّب في الرهبانيَّة اليسوعيَّة نريد بهِ الاب ماتيو رتشي ليشركهُ في العمل مع الاب روجياري فيكونا على أهبة للدخول في مملكة السماء . فما بلغ هذا الامر مسامع رتشي حتى طار لهُ فرحاً واسرع فودَّع الاوطان والاحباب لينال حظَّـهُ من اتعاب المرسلين ويفتح للمسيح ممالك جديدة

والحقُّ يُقال انَّ الطبيعة والنعمة كانتا زيَّنتا هذا الرجل نفساً وجسداً بالسجايا الفريدة والصفات النادرة التي تؤهل مثلهُ الى كبائر الامور. كان المذكور وُلد في مدينة ماشراتا من اعمال المملكة البابويَّة في ٦ تشرين الثاني من السنة ١٥٥٢ من والدين شريفين لم تزل سلالتهما معروفة في وطنها حتى يومنا الحاضر . وبعد ان درس في مدارس الآباء اليسوعيين ونال فيها قصب السبق على اقرانهِ طلب الانضمام الى الرهبانيَّة اليسوعيَّة سنة ١٥٧١ فاحرز فيها الفضائل الرهبانيَّة ودرس في رومية على مشاهير عصرهِ العلوم الدينيَّة والدنيويَّة وبرز خصوصاً في درس العلوم الفلكيَّة والهندسة والرياضيَّات فاخذ عن علّامة زمانهِ الاب كرستوف كلاڤيوس (Chr. Clavius) احد مصلحي الكلندار الغريغوري فسافر الاب رتشي من لشبونة عاصمة البرتغال في ٢٤ آذار سنة ١٥٧٨ ووصل الى الهند بعد اشهر فاقام في مدينة غوا دروسهُ وسيم كاهناً وعلَّم العلوم البيانيَّة في مدرستها حتى لاح الامل للاب ڤالينيانو بقرب فتوح الصين للمرسلين فطلبهُ الى ماكاو حيث وصل في ٧ آب سنة ١٥٨٢ فاجتمع بالاب روجياري وانكبَّ معهُ على درس اللغة الصينيَّة التي تُعدّ من اصعب لغات المعمور

وصل رتشي الى ماكاو فكان وصولهُ كمطلع عصر جديد واوَّل ما تبيَّنهُ من احوال الصينيين ميلهم الى المعارف واعتبارهم للعلوم فاراد ان يتخذ العلوم كوسيلة لنقض الحواجز التي تفصلهم عن التمدُّن الغربيّ . وجعل لذلك يدرس بكل نشاط اللغة الصينيَّة ولم يكتفِ باللغة العاميَّة الدارجة عند الشعب كما صنع اخوتهُ بل شرع يدرس اللغة الفصحى واستجلب كتب قدماء الكتبة وحكماء الصين فتبحَّر فيها واقتبس من انوارها . ثم ارسل وطلب من اخوتهِ في الهند وايطاليــة كتب العلماء في كل فن مع الآلات الفلكيَّة التي كان ارباب الصنائع والمنجمون وضعوها مؤخَّراً لدرس الافلاك

والظاهر الجويّة واقاليم البلاد والغاية من ذلك ان يستعطف خواطر اعيان الصين ويقنعهم بتقدُّم اهل الغرب عليهم في العلوم

وزادهُ رسوخاً في رأيهِ ما حدث للاب روجياري في تلك الاثناء فانهُ كان رافق التجار البرتغاليين الى كانتون . وهو هناك اذ اتى اليها من الفيليبين الاسبانية وفدٌ من قبل نائب الملك ليعقد بين تلك الجزائر واهل الصين معاهدات تجاريّة تنفع البلادين وكان يرأس الوفدَ احدُ الآباء اليسوعيين المسمّى سانشز (Sanchez) فوصل الوفد الى كانتون وصار لهُ استقبال رسمي عظيم أثر في كلّ الناظرين . وكان الاب سانشز اتى بألطاف ثمينة في جملتها ساعة دقّاقة وآلات جمية لم يعرفها اهل الصين فقبلوها شاكرين واكرموا مثوى صاحبها . ثم سمحوا لهُ وللاب روجياري الذي اتخذهُ رفيقهُ وترجمانهُ ان يشيدا هناك معبداً موقتاً ليتمّما فيه فرائض دينهما . فاقام الابوان هيكلاً جميلاً زيّناهُ بالصور البديعة والنقوش الحسنة الآخذة بابصار الناظرين فكان الصينيّون اذا دخلوا منزلهما ينظرون ذلك المشهد فيتعجّبون منهُ حتى انَّ الوالي نفسهُ سمع بهِ وجاء ليزورهُ واستحسنهُ . ولمّا حان وقت رجوع الاب سانشز الى الفيليبين وانتهى الشهر الممنوح لاقامة تجار البرتغاليين في كانتون سمح الوالي للاب روجياري ان يقيم في حاضرتهم وان شاء ان يذهب الى مدينة تشاوكنغ وفيها مقام الوالي والعُمّال فيسكنها

فكانت هذه الرخصة ابهج بشرى للمرسلين اثلجت صدورهم فرحاً فشكروا عليها الله كنعمة سابغة ثم اسرع الاب روجياري ودعا من ماكاو الاب رتشي ومرسلين آخرين فسكنوا بيتاً استأجروهُ في تشاوكنغ واقاموا هناك يقسمون وقتهم بين الصلاة ودرس الكتب الصينيّة

فما لبث الخبر ان انتشر في المدينة فشرع الصينيّون لاسيما الوجهاء والاعيان يتزاحمون في بيت المرسلين فيستقبلهم الآباء بكل لطف ويقضون الساعات الطوال في مؤانستهم والجواب على اسئلتهم العديدة عن الغرب واحوالهِ وآدابهِ فكان الآباء لا يملّون من مباحثتهم في جميع الفنون بكل رزانة وكل حكمة حتى عظم الغرب في اعينهم وكانوا قبلاً يعدّونهُ مقرّ الجهل ويحسبون اهلهُ كهمج وبرابرة

على انَّ الاب روجياري وهو الرئيس كانت تضطرُّهُ خدمة الرسالة ان يتغيب عن تشاوكنغ فطلب من الاب ڤاليانو ان يعهد بالرئاسة الى الاب رتشي وبعد قليل

عاد الى اوربة ليوقف الحبر الاعظم سكستوس الخامس على نجاح رسالة الصين ويعد لها مرسلين جدداً يخدمونها ثم يعود بصفة سفير ناقلاً الى امبراطور الصين هدايا ثمينة من قبل البابا فيستعطفه بذلك وينال الحظوى منهُ للمرسلين

فضبط الاب رتشي زمام التدبير بكلّ حزم وضاعف همّتهُ لاستمالة الصينيين وعلى الاخص كبارهم ورؤساءهم. واذ رأى ان اللبس الاوربيّ مدعاة الى نفورهم منهُ ومن اخوته استبدلهُ بزيّ علماء الصين فأرخوا لحاهم وأرسلوا شعورهم ولبسوا الطيالسة المنقوشة بتصاوير الأُسد وتسمّوا باسماء صينيّة وغير ذلك مما اكسبهم ثقة الاهلين

وعرض رتشي في احد معاهد الدار الآلات الفلكيّة والخوارط والساعات التي كان اتى بها من اوربة ونظمها على شكل متحف علمي فتقاطر الصينيُّون الى رؤيتها وفي مقدّمتهم والي مقاطعة كانتون وحاكم المدينة فكانوا كلهم يقضون العجب من هذه الطُرَف التي لم ينظروها قطّ بل لم يسمعوا بذكرها

وممّا استلفت نظر الوطنيين خصوصاً خارطة الكرة الارضيّة واقطار العالم فكانوا يرون صورة المعمور على هيئة جديدة لم تخطر على بالهم فسألوا الاب رتشي ان يشرحها لهم فكان يعدّد لهم قارات الارض واقسامها ودولها وممالكها ويقرأ اسماءها المكتوبة عليها فيتحقّق الصينيّون انّ بلادهم ليست سوى قسم صغير من العالم المعمور وكانوا سابقًا يعتبرونها كاربعة اخماس الدنيا ليس سواها الّا بحار واسعة في وسطها بعض الجزائر التى لا يبلغ مجموعها قدر ولايةٍ واحدة من ولايات الصين فيحملهم نظر بلادهم على العُجب والكبرياء مع استحقار بقيّة الامم

فلمّا وقف زوّارُ المرسلين على اوهامهم الباطلة إستزادوا الاب رتشي وطلب اليه الوالي ان يرسم لهُ خارطة الدنيا ويكتب فيها اسماء البلاد بالصينيّة ففعل وصوّر لهم خارطة كبيرة اتقنها كل الاتقان وضبط اطوالها واعراضها ومناطقها وبحورها وجزائرها وقاراتها واقاليمها مع اسامي كل الاقطار والبحور . فلمّا اتمّها اعدها الى الوالي الذي امر الطبّاعين ان يحفروها على الخشب على نفقته ثم يطبعونها ففعلوا وبعد نجازها اخذ الوالي كل النُسخ وارسلها الى كبار علماء الصين والى اصدقائهِ واعيان الدولة فكان ذلك داعيًا لشهرة الاب رتشي بين اهل البلاد واعتبار الصينيين لعلمه ولمعارف اهل الغرب . واستفاد منها الصينيون امرًا آخر وهو بُعد البلاد الغربيّة عن بلادهم فاطمأنّوا بذلك

ولم يعودوا يخافون غارات الاجانب فتساهلوا معهم

وعاد الاب رتشي وحسَّن خارطتهُ وزادها اتقاناً فطُبعت بعد ذلك طبعات متعدّدة انتشرت في كل اطراف الصين. ثم اخذ باصطناع كُرين من الشَّبه والحديد رسم عليها بالوان هيئة الارض وكان الصينيون يحسبون ارضنا منبسطة غير كرويَّة فاصلح بذلك غلطهم وصوَّر لهم كرين غيرها رسم عليها صُوَر الكواكب والسيَّارات وشرح لهم حركات الافلاك. وصنع لهم عدَّة ساعات شمسيَّة اهداها الى رؤسائهم فعرضوها في بيوتهم كأثمن الأعلاق وانفسها فشاع اسم الاب رتشي اي شيوع فاتاهُ علماء الصين ليتباحثوا معهُ في العلوم الفلكيَّة فكانوا يندهشون لسعة معارفهِ ويتبيَّنون قصورهم عن ادراك شأو الغربيين

ومما زاد في قلوب الصينيين اعتبار رسل الغرب ورفقتهِ الكتب الاوربيَّة التي كان عرضها في متحفهِ وكان كثير منها مُحكم الطبع بهي المنظر جميل التصوير حسن التجليد وكانوا يظنون قبلاً ان بلادهم تفرَّدت بالطباعة اذ كانوا منذ اجيال عديدة يطبعون بالحفر على الخشب فسبقوا الاوربيين في هذا الفنّ لكنهم كانوا يجهلون فنّ الطبع على الحروف الرصاصيَّة فتعجَّبوا من ترقّي الطباعة الاوربيَّة

وكان الاب رتشي لا يكتفي بان يفيد الصينيين بل اراد ان يجدي مواطنيهِ علماً بما يستفيدهُ منهم. واوّل شيء اصلحهُ من اوهام الاوربيين ظنّهم الباطل بانَّ الصين والخطا (Catay) صقعان مختلفان تفصل بينهما البحار. وكان اسم الخطا تغلَّب على الصين منذ تملُّك سلالة المغول عليها فكان اهل الاسفار اذا ذكروا الصين لم يذكروها بغير اسم الخطا كمارقو پاولو وغيره. فتحقق الاب رتشي ان الخطا هي نفس الصين وانَّما يُطلق هذا الاسم خصوصاً على شماليها وانَّ ما ذكرهُ اصحاب الرحل عن تلك يصحّ في هذه تماماً وانَّ عاصمة الصين المعروفة في تواريخ المسافرين باسم خان بالق هي مدينة باكين بعينها وانَّ بلاد الصين متاخمة لمفاوزات التتر وصحاري المغول

ومما ازال كلَّ وهمٍ في ذلك ان الاب ايرونيم كساڤيه (Jérôme Xavier) اليسوعي الذي كان يبشّر بالايمان في بلاد المغول ويتردَّد على ملكهم « السلطان اكبر » رأى في بلاطهِ رحالةً مسلماً كان أتى مع قفل من باكين المدعوَّة خان بالق ولانَّ خان بالق هي عاصمة الصين فاراد رؤساء الرهبانيَّة اليسوعيَّة ان يقفوا على صحَّة الخبر فارسلوا

من الهند احد رهبانهم الاخ دي گويز (Benoit de Goes) مع تجار كانوا يسافرون الى الصين كل خمس سنوات فرافقهم الاخ دي گويز وقاسى من الاتعاب ما لا يصف به قلم وقطع بصفة درويش وعابد بلاد قابول وكشغار وجهات المغول حتى بلغ سُدَّ الصين وجاور مدينة باكين وكاتب اليسوعيين الذين كانوا في تلك الجهات لكنهُ مات قبل اجتماعهِ بهم. فلم يبقَ بعد ذلك ادنى شكّ في انَّ الخطا هي القسم الشمالي من بلاد الصين

وكذلك اصلح الاب رتشي اغلاطاً كثيرة كانت وقعت في الخوارط المرسومة في اوربة كتعريف تخوم الصين وامتدادها بحرًا وبرًّا فجعل علماء الجغرافيّة ينقلون عن معلومات المرسل ويسندون اليهِ اصلاحاتهم

فهذه الخدم وغيرها اداها الاب رتشي للعلوم الغربيّة اضرمت في قلوب كثيرين من اخوتهِ الرغبة في الاجتماع بهِ ومقاسمة اتعابهِ. لكنَّ تلك المساعي الطيّبة كادت غير مرّة ان تذهب سدًى وتخيب آمال المرسلين لانَّ ولاة الصين ما كانوا يحكمون الّا ثلاث سنوات ثم ينقلهم الامبراطور وينقلهم الى وظائف أخرى . فلما تغيَّر الوالي الذي كان سمح للآباء بفتح دار لهم في تشاوكنغ اضطرُّوا الى ان يعودوا الى ماكاو . بيد ان الوالي الجديد اذن لهم بعد قليل بالرجوع الى دارهم . وكذا جرى لهم مرّة او مرّتين بعد ذلك حتّى ان بعض خدمة الاصنام تمكّن مرّةً من طردهم بالقوّة من المدينة وكانت حالتهم تلك الحرجة لا تكفل لهم بالغد . فاستدراكًا لتلك الاخطار كانوا لا يزالون يطلبون التقرُّب الى باكين عاصمة الدولة لعلَّهم يأتون الى قصر الملك فينالون منهُ الرخصة باستيطان الصين بطمانينة فكر . الّا ان عُمّال الدولة كانوا ينكرون عليهم الذهاب الى دار الملك خوفًا من سطوة السلطان ولعلمهم بان احكام الدولة لا تسمح بدخول الاجانب في كرسي الملك

فكان اليسوعيون على ما طُبعوا عليهِ من الجَلَد والثبات لا يقطعون الرجاء عن الوصول الى حاضرة الدولة . ولاسيما انَّ كثيرين من كبار المملكة اذ عرفوا فضلهم وتحققوا انهم لا يطلبون غير خدمة العلم والدين كانوا يوسعون كلّ يوم دائرة نفوذهم حتّى سمحوا لهم ان يسكنوا في مدينتي تشاوتشيو ونانكين فتحوا لهم في كلتيهما دارًا . وكان الاب رتشي استدعى اليهِ من ماكاو شابّين مسيحيين اصلهما من عائلتين صينيّتين

تنصَّرتا هناك وطلبا الدخول في الرهبانيَّة اليسوعيَّة فاجاب الاب رتشي الى طلبتهما وثقفهما في الفضائل الرهبانيَّة ثم استعان بهما لاعمال الرسالة فاديا له خدماً عديدة وساعداهُ على الاخصّ في التقرُّب من اهل وطنهما عند سعيهِ بالدخول الى باكين

والحقّ يقال انَّ رتشي كان يعُدّ كل ما صنع سابقًا كلا شيءَ ريثما يستطيع الوصول الى قلب الصين ويتقرَّب من سلطانهِ الاعظم · فلادراك هذه الغاية كان يصد عندهُ افخر الهدايا ليقدّمها للملك ويبالغ في الادعية واعمال البرّ ليسهّل له الرب طريقهُ اليهِ · واذ رأى انَّ اعيان الدولة الذين اكتسب ودادهم قاصرون عن مساعدتهِ جعل على الله اتكالهُ وسافر في حزيران سنة ١٥٩٨ الى باكين مع احد الآباء والاخوين الصينيَّين فوصل الى باكين في ٧ ايلول بعد سفر طويل واقام في العاصمة نحو شهرين لكنَّهُ لم يستطع الفوز برغوبهِ ولم يجد احدًا يبلّغهُ الى ابن ملك السماء او يخبرهُ بمجيئه فعاد الى نانكين بخفَّي حنين

لكنَّ رجل الله لم يستسلم الى القنوط والجزع بل واصل اشغالهُ وصلواتهِ مع اخوتهِ الى حين تأتي الساعة المعيَّنة من الله الذي في يديهِ قلوب الملوك كما يقول الكتاب (امثال ٢١ : ١) . فاعمالهُ الصالحة كانت تستعطف اليهِ الخواطر حتى انَّ الصينيين دعوهُ باسم « تشنغ يان » اي القديس وهو اسمٌ يخصّون بهِ كبار رجالهم فقط مثل كنفوشيوس مشترعهم وبعض الفلاسفة العظام

وكان رتشي لا يزال يترقَّب الفرصة ليعود الى دار السلطنة ففي اواسط ايار من السنة ١٦٠٠ استأنف السير الى باكين مع الاب دياكو بنتويا (Diego Pantoja) والاخوين الصينيين فطال بهم السفر ووجدوا في طريقهم من العوائق ما لم يكن في الحسبان وتعرَّض لهم بعض العمّال ذوي الجشع والقحة فسلبهم قسماً من الالطاف المعدَّة للملك وحاول قتل الاب رتشي وحبسهُ مدَّةً لكنَّ العناية الصمدانيَّة نجَّتهُ من كل الاخطار فبلغ باكين سالمًا بعد سبعة اشهر

وكان الجالس آنئذٍ على سُدَّة الملك رجلًا يُدعى تشان سونغ ويلقَّب « فان لي » كان يتولَّى الامر منذ سنة ١٥٧٣ وكان رجلًا عادلًا محبًّا للعلوم فاطلعهُ اهل بلاطهِ على خبر رتشي واعلمهُ بقدومهِ وبما اعدَّهُ للملك من الهدايا فارسل ودعاه الى قصرهِ · فلبس المرسل ثوب الاساتذة الرسميّ وجعل الهدايا في ايدي الاخوين وبعض الخدم وحضر

امام الملك بعد ان قدَّم لهُ فرائض الاكرام كما هي العادة عند اهل البلاد. فرحَّب الملك بالقادم تجاه اهل بلاطهِ وألقى عليهِ عدَّة سؤالات عن بلاد الغرب اعجبتهُ وادهشتهُ معًا. ثمَّ اخذ الالطاف فردًا فردًا واستخبر عن معانيها وفوائدها. وكان في جملتها ساعة لم يُرَ مثلها في الصين ثمَّ نظَّارة جميلة ومجموع بهيّ فيهِ تصاوير آثار الغرب وابنيتهِ الفخمة من قصور وكنائس ورسوم دقيقة ومناظر بهيَّة وتصاوير بديعة. واعجبتهُ خصوصًا خارطة العالم التي كان رتشي حسَّنها كثيرًا. وكذلك اهدى الملك آلةً موسيقيَّة كانت تُسمع الحضور الحانًا اوربيَّة رخيمة فاستعظمها الملك واراد ان تُركَّب على نغماتها ادوار صينيَّة فألَّف لهُ الاب رتشي اغاني عديدة ضمَّنها الحكم الادبيَّة فوقع ذلك من قلبهِ احسن موقع واظهر للوافد سموَّ رضاه

ثم ارسل الملك سرًّا احد كبار دولتهِ واعلم رتشي ورفقتهُ بانهُ يريد ان يقيموا في باكين ولا يضطربوا من معاكسة بعض العمَّال لهم. وكان بعض حاشية الملك خافوا من اقامة الاجانب بينهم وعرضوا عليهِ بان يصرف المرسلين لئلَّا يستوطن اهل الغرب مملكة الصين وتبطل سُنَّة اجدادهِ الآمرين بنفي الغرباء من تخوم الدولة. فالملك سمع كلامهم ولم يُعِرهُ بالًا لكنَّهُ لم يمنح للاب رتشي منشورًا رسميًّا للسكنى في باكين كما كان يتمنَّى. وعلى كل حال راى الآباء في تلك الرخصة الشفاهيَّة «اعجوبةً عظيمة اصطنعتها يمين العلي» وكان ذلك في اواخر كانون الثاني من السنة ١٦٠١

١٠ بلغ هذا الخبر مسامع الحبر الاعظم ورؤساء الرهبانيَّة اليسوعيَّة حتى طربت لهُ الافئدة وقدَّموا لله في كل انحاء اوربة الشكر الحميم على هذه المنَّة لما كان يُبنى عليها من الآمال لترقي العلوم فضلًا عن انتشار الدين القويم

اما رتشي ورفقتهُ فانهم اسرعوا الى اقتناء دار رحبة موافقة لغايتهم من الاختلاط باهل باكين ومؤانستهم والتباحث في العلوم معهم فنظَّموها احسن نظام وجعلوا فيها ما من شأنهِ ان يعظِّم التمدُّن الغربي في اعين الصينيين. وكان الملك يحبُّ الاجتماع برتشي وعيَّن لهُ اربعة مواسم رسميَّة كان يقبلهُ فيها مع عمدة اهل مملكتهِ في ساحة مخصَّصة بهم. وكان ايضًا يستدعيهِ سرًّا ليستطلع رأيهُ في احوال الغرب وعلومهِ ووكل اليهِ باصطناع خارطة جديدة للعالم ابهى وابدع من الخوارط السابقة ليزين بها بلاطهُ فقضى رتشي في عملها عدَّة اشهر فاستحسنها تشان سونغ للغاية وانعم عليهِ بانعامات شتى احرزت

له سمعة طيبة بين كل رعايا الدولة فاخذوا يتواردون الى دار المرسلين زرافات ووحداناً . وكان رتشي يقضي قسماً كبيراً من نهاره وليله مع علماء العاصمة وافاضلها ويفسّر لهم معنى الآلات التي في داره ويفنّد آراء الصينيين في صورة العالم واقاليمه وتركيبه . ومما ابطله من اوهامهم قولهم بانّ العالم يتركّب من خمسة عناصر اي الماء والارض والنار والخشب والمعدن . وكذلك بيّن لهم انّ الارض ليست مربّعة الشكل منبسطة وانّ الصين ليست مركز العالم كما كانوا يزعمون واشياء كثيرة غيرها علموا منها تقدّم الغربيين عليهم

ومن العلوم التي كان الصينيون مولعين بها الهيئة والفلك لأنّ معارفهم كانت في الغالب محمولة على النظريات او على تقاليد قديمة أكل عليها الدهر وشرب . ووافق وجود الاب رتشي في باكين وقوع كسوفٍ للقمر فما امكن الفلكيين الصينيين ان يسبقوا بتعريف زمانه وعلله الّا ان رتشي عمل كل الحسابات وعرضها على الملك سلفاً فحدث الخسوف في وقته كما افاد وعلّله بتوسّط الارض بين الشمس والقمر . فاقرّ له الجميع بسعة العلم واتّخذوه مذ ذاك الحين كحكم في كل مشاكلهم يذعنون الى قوله كما يذعن التلميذ لاستاذه

قضى رتشي نحو عشر سنوات في باكين مكرّماً موقّراً من الجميع . ومع كثرة اشغاله صنّف في الصينية عدّة تآليف علميّة طلبها منه الملك او عمّال الدولة وعلماؤها طُبع قسمٌ منها في الصين على الحجر وبقي قسمٌ آخر مخطوطاً حتى الان فما طُبع كتاب مطوّل في الحساب ثمّ ترجمة صينيّة لستّة كتب من هندسة اقليدس وكتاب في الهندسة المنبسطة وكتاب في وصف السماء والارض وكتاب في الاقيسة وكتاب شرح الكرة السماويّة وكتاب آخر في الشعر الصينيّ عن النجوم وكتاب في حساب مساحة المثلثات وكتاب في فنّ الذاكرة وكتاب في الصداقة اتقنه غاية الاتقان وعدّه الصينيون بين اجود آثارهم الادبيّة . هذا فضلاً ممّا كتبه رتشي في اللغات الاوربيّة عن الصين ونقل عنه العلماء من اليسوعيين وغيرهم

وزد عليه ان رتشي لم يخدم العلوم في الصين بذاته فقط بل خدمها خدمة اعظم بخلفائه الذين استقدمهم من اوربة لينهجوا طريقه في تعزيز المعارف فارسل رؤساء الرهبانيّة اليسوعيّة مدّة ١٧٠ سنة عدداً وافراً من علمائهم الى الصين فنشروا فيها العلوم

وعمّموا الآداب الغربيّة فصاروا وصلة بين اقاصي الشرق والغرب . ولهم من التآليف ما يزيد على الالف . ولدينا قائمة ما طُبع في الصينيّة بهمّة الاوربيين في القرنين السابع عشر والثامن عشر جمعها العلامة هنري كرديه سنة ١٩٠١ (١ وهي تحتوي وصف ٣٩٥ كتابًا في كل العلوم الدينيّة والدنيويّة منها ٣٠٠ ينيف للاباء اليسوعيين

وكان هؤلاء المرسلون يكاتبون في رومية وباريس وموسكو وفيينّة ائمّة العلم فيفيدونهم عن علوم الصين ويترجمون لهم كتبهم التاريخيّة والادبيّة حتى اغنوا بتآليفهم مكاتب اوربة . ولما كنا نشتغل في باريس سنة ١٨٩٢ في المكتبة العموميّة كان ناظرها المسيو زوتنبرج (H. Zotenberg) يرينا عددًا عديدًا من المخطوطات التي تُحفظ في خزانة الكتب مما ألّفهُ اليسوعيون في الصين فيستقي من مواردها العلماء حتى يومنا هذا . وكان يردّد علينا قولهُ : « لولا اليسوعيون لبقيت الصين مجهولة حتى القرن التاسع عشر »

ولما استأنف اليسوعيون رسالتهم الى الصين نحو السنة ١٨٤٠ تذكروا اسلافهم وطرقوا مثلهم باب العلوم فألّفوا التآليف وأنشأوا مطبعتهم الكبيرة في شانغاي التي طبعت نحو مائتي كتاب مما يقرّ له الصينيون وعلماء الغرب بالتقدّم على سواء . ولهم مرصدان من اعظم مراصد العالم احدهما فلكي والآخر جوّي ومغناطيسي يؤديان كل يوم الخدم المشكورة للسفن الماخرة مياه البحر الصينيّ . وفي كلّيتنا اليوم احد مرسلي الصين الذي ألّف تآليف لغويّة في المجازات الصينيّة اثنى عليها الاختصاصيون وتكرّر طبعها (اطلب المشرق ١٢ : ٣١)

والفضل في كلّ هذه الاعمال عائد خصوصًا الى الاب رتشي الذي نهج للمرسلين طريقة المعارف واستحقّ ان يُدعى رائد العلم في الصين

وقد عرف لهُ فضلهُ ملك الصين لما مات في ١١ ايار سنة ١٦١٠ فارسل من ينوب عنهُ الى دفنتهِ بتقدمة فروض التعازي ووهب للآباء اليسوعيين بصكّ امضاهُ بيدهِ ارضًا واسعة خصّها لمدافن المرسلين . وهي اليوم مقبرة الرسالة الكاثوليكيّة في

---

(١) وهذا اسم الكتاب Bibliographie des ouvrages publiés en Chine par les Européens au XVII^e^ et au XVIII^e^ siècles par **Henri Cordier**. *Paris, Imprimerie Nationale*, 1901, p. 75

باكين · فهذه النعمة الفريدة منحها الملك لاكرام الاب رتشي ويعدُّها اهل الصين كاعظم الانعامات · وكان المنشور الملكي في ذلك كمرقة رسميَّة لحلول الاجانب في المملكة · اما جُبَّة وجوه الدولة وعلماء العاصمة فعدُّوا موت رتشي كمصاب وطنيّ وكتبوا في مدحه شقفاً ثانيةً زانوا بها مدفنهُ (التتمة لعدد آخر)

الايوان السماوي والارضي

ارسل لنا الشاعران المجيدان حضرة الاب روفائيل البستاني وجناب الاديب احمد تقي الدين القصيدتين التاليتين البليغتي المباني الشارقي الابيات وقد وجدنا بينهما علاقة فجمعناهما تحت العنوان السابق . فانَّ الاولى تحتوي وصفاً جيلاً لاعمال الآب السماوي ولعجائبهِ العديدة في خلائقهِ . اما الثانية فتنطق عن عواطف الاب الارضي نحو ابنهِ الصغير وقرَّة عينهِ وموضوع آمالهِ . فلكليهما الشكر الجميل ل . ش

١

سبحان الله في خلائقهِ

لحضرة الخوري روفائيل البستاني بمدرسة الحكمة العامرة

أفِقْ يا قلبُ من سُكرٍ بكأسِ الجهلِ لا الخمرِ
ألا اخرُجْ من دُجى ليلٍ فقد وافى ضيا الفجرِ
فقُمْ ننظرْ الى كونٍ عجيبٍ قد سبى فكري
أدِرْ لحظًا الى العليا وأنظرْ بهجة البدرِ
وقلِّبْ في العُلى طرفًا فكمْ من كوكبٍ دُرّي
بأوقاتٍ وترتيبٍ وتنظيمٍ بها يسري
تأمَّلْ قبَّةً زرقا زهَتْ بالأنجمِ الزُّهرِ
سماهٌ أدهشت عقلي فهل في الجوِّ من سِحرِ
أجيبي سائلًا يا شمسُ بل يوحي بذا السرِّ
فمَنْ قد زانَ افلاكًا وأعلاها مُذ الدهرِ
ومَن ساقت يداهُ الغيمَ من قُطرٍ الى قُطرِ
ومَنْ أعلى جبالًا قد كساها الغيثُ بالزَّهرِ

ومَن أعطى رَوَاسيها أكاليلاً مِنْ الصَخرِ
وأشجارًا وأزهارًا ذَكَتْ في عَرْفها العِطري
تُحَيِّيها فتُحْيِيها مياهُ السُحْبِ والنهرِ
ومَنْ ذا قد احاطَ الطو دَ بالغابات والوَعْرِ
أجيلُ الطرفَ في ارضٍ وفي الأفلاكِ والقمرِ
فكم أعجوبةٍ فيها وكم غمضٍ وكم سِرِّ
فمن طيرٍ عَلا جوًّا كطيرِ الباز والنَسرِ
ومنها قد شَدَا في الرو ضِ فوقَ الاغصنِ النُضْرِ
هَزارٌ او كَنَارٌ او يمامٌ ناحَ او قُمْري
وكم من زاحفٍ ينسا بُ في غابٍ وفي قفرِ
وكم ضارٍ ببَيداء نظيرِ اللَيث والنِمرِ
أعاجيبٌ أعاجيبٌ واشكالٌ بلا حَصرِ
ومِمّا أورثَ الافكا رَ ذَهْلًا منظرُ البحرِ
غريبٌ أمرهُ يا قو مُ في مدٍّ وفي جَزْرِ
كأنَّ اليمَّ قد آلى بأنْ يَسْطو على البَرِّ
به الأمواجُ كالاطوا دِ تُلقي القلبَ في الذعرِ
فتُرغي تارةً غضبى تَصُمُّ الأذنَ بالهدرِ
وطورًا تَنثني خَجلى كمذعورٍ لدى الكَسْرِ
وكم في البحرِ آياتٍ تَنِتُّ عن عدِّها شعري
فمن ذا مبدعٌ كونًا عجيبًا حُسنُهُ الفِطري
فما لي أسألُ الاكوا نَ عن غمضٍ بها وَفْرِ
فأحرى بي بأن أبدًا بذاتي ناظرًا أمري
ففي الغمضِ كلُّ الغمضِ فيما ضمَّه صَدري
فجسمي كلهُ سِرٌّ عَصِيٌّ أمرًا لذي الخُبرِ
فأدرى الناسِ من يدري بأنَّ الناسَ لا تدري
فما مِن كائنٍ الّا على مَشرعٍ الله يجري

وهل مِن صُدفةٍ في ذا أجبني يا أخا الكفرِ
أليس العقلُ يُنبينا بنبأه لذا القصرِ
غدا اسمُ الله مكتوباً على الأكوانِ بالتّبرِ
وفيها ظلَّ محفوراً ويبقى ثابتَ الحفرِ
فلا يمحوهُ كفّارٌ ولا جُهّالُ ذا العصرِ
ومن يبغي له محواً فلا يأتي سوى الخسرِ
ألا يا مُلحِداً مهلاً فلا تَنْفُذْ الى الهذرِ
فتُبْ للربِّ واستغفِر وقُمْ كفّرْ عن الوزرِ
وقلْ رحماكَ يا ربّي أقِلْ خطوي من العثرِ
وهبني منك غفراناً لِمَا قد جئتُ من نُكرِ
لك التسبيحُ والشكرا نُ في يسرٍ وفي جبرِ

٢

الى ولدي الصغير

لجناب الاديب الشيخ احمد افندي تقيّ الدين

ولي ولدٌ عمرهُ تسعةٌ ويا حبّذا التسعةُ الأشهرُ
شبيهُ الأزاهرِ لكنّهُ أغضُّ من الزهرِ بل أطهرُ
شبيهُ الكواكبِ لكنّهُ أتمُّ من البدرِ بل أنورُ
لقد غاب عن ناظري أشهراً حسبتُ الشهورَ هي الأدهرُ
وفي البالِ يخطرُ تذكارهُ وكيف ببالي لا يخطرُ
وأذكرهُ قائماً قاعداً وكلُّ ابٍ لابنهِ يذكرُ

وها انا أُنستُ من غيبتي وآنسني وجهه المقمرُ
فقبّلتهُ ونسيتُ الحساب وهل يحسبُ الشوقَ او يحصرُ
فحدّق فيَّ وحدّقتُ فيه ومثلي الى مثله ينظرُ
وطار اليَّ بدون جناحٍ يريد الكلامَ ولا يقدرُ
فحنّتْ له النفسُ محتاطةً كطيرٍ لأفراخها تنشرُ

ولكن لاظهار صدق الشعور ولا خير في المرء لا يشعرُ
أُطلُّك الدينَ لا للخرافة م بل للكمال الذي يضمرُ
أُطلك الدين لا للتعصُّب م بل للسلام الذي ينشرُ
أُطلك الدين لا للتظاهر م بل للصلاح الذي يُسترُ

فيا ولدي عش لنا زهرةً وحبلُ حياتك لا يقصرُ
فانَّ البنين ثمار القلوب ولا خير في الغصن لا يثمرُ

الزَّبْزَب او النُّفة او عَناق الارض

مقالة علميّة تاريخيّة لغويّة انتقاديّة ادبيّة للاب انستاس الكرملي

(ورود هذه اللفظة في التاريخ) جاء في تاريخ الكامل لابن الاثير (٨: ٣٣ من طبعة سنة ١٣٠٣) ما نصُّهُ: في هذه السنة ٣٠٤هـ (٩١٦م) في الصيف خافت العامَّة ببغداد من حيوان كانوا يسمُّونهُ الزَّبْزَب ويقولون انهم يرونهُ في الليل على سطوحهم وانهُ يأكل اطفالهم وربَّما عضَّ يد الرجل وثدي المرأة فقطعهما وهرب بهما فكان الناس يتحارسون ويتزاعقون ويضربون بالطشوت والصواني وغيرها ليفزعوهُ فارتجت بغداد لذلك ثم ان اصحاب السلطان صادوا ليلةً حيوانًا ابلق بسوادٍ قصير اليدين والرجلين. فقالوا: هذا هو الزبزب وصلبوهُ على الجسر فسكن الناس (١. وهذه

١) قد اختلفت الروايات في ايراد نصّ ابن الاثير: فمن ذلك رواية حياة الحيوان الكبرى فقد روى «اسطحتهم» عوض سطوحهم. و«يد المرأة» عوض ثدي المرأة. و«فيقطعهما» عوض فقطعهما ولم يذكر «هرب بهما». وقال: «وكان الناس يتحارسون منهُ ويتزاعقون ويضربون بالطسوت» بدلًا من النص الذي اوردناهُ. وقد نقل صاحب دائرة المعارف هذا الكلام عن الدميري لا عن ابن الاثير. وفائدة جمع الروايات عظيمة. فاذا ثبت مثلًا ان نص الدميري كان في الاصل «أسطحتهم» اتضح ان هذا الجمع فصيح. وفي نسختنا «اسطحة» ايضًا. وسوف نتكلم عن نسختنا بُعيد هذا. وكذلك جاءت رواية الاسطحة في كلام الدميري عن الضفدع فقد قال هناك: «يُظن انهُ يقع من السحاب لكثرة ما يرى منهُ على الاسطحة عقب المطر والريح» وهكذا وردت ايضًا في نسختنا» فاذا صح ذلك لم يبق وجهٌ لاعتراض الشيخ ابراهيم اليازجي اذ قال في الضياء (٤: ٦١٠) «السطح وجمعهُ على اسطحة واساطح وهذا الثاني جمع الجمع هو من

دابّة تسمّى طبرة واصاب اللصوص حاجتهم لاشتغال الناس عنهم ». ا ه حرفه

وفي سنة ١٢٧١ هـ (١٨٥٤ م) وكان عمر كاتب هذه السطور ثماني سنوات وقع في بغداد مثل هذا الاضطراب وكان الخبر قد شاع في الصيف وما كان الناس يستطيعون ان يغمضوا اجفانهم ففي كل بيت كان واحد يسهر على التناوب مع اهل الدار خوفاً من ان يأتي الزيزب ويفترس واحداً من النائمين. ومضى صيف تلك السنة والناس تضرب الى الصبح على الطشوت والقدور وآنية النحاس على انواعها تنبيهاً للغافلين وتخويفاً للدابّة المذكورة والبغداديون يزيدون خوفاً بما يرويه على اسماعهم بعض الذين يقولون انهم رأوه. ثم لما اقبل الشتاء قالوا: فرّ الزيزب من وجه الناس طالباً جبال بلاد فارس. ولم يتحقق احد اذا كان الامر صحيحاً

على ان حكاية الزيزب لا زالت حية على أفواه الجميع من يهود ونصارى ومسلمين وكل واحد يصفهُ باوصاف غريبة ترجع كلها الى قصر الارجل والايدي والى بياض يعلو ظهرهُ والى ان جلدهُ صفيق كجلد الخنزير الى غير ذلك. ومن الغريب ان اهل البادية يعرفونهُ ايضاً ويسمّونهُ باسماء مختلفة تختلف باختلاف القبائل كما سترى

٢ (قتل زيزب) شاع في شهر تشرين الأول من السنة الماضية ١٩٠٩ في ارض صدر المسعودي (١ ان قد ظهر في الليل الزيزب فوقع فزع في صدور الجميع ولاسيما النساء. فلم يستطع احد ان يغمض عينيه. وكان يخرج في كل ليلة مقدار اربعين من شجعان الرجال وبايديهم البنادق الحديثة الوضع برصاص ضخم يفتك فتكاً مريعاً وهم يمشون الليل كلهُ في البساتين لينفضوها من هذا الضيف الهائل. وما زالوا على هذه الحالة حتى اليوم ١١ من شهر تشرين الثاني وبينما كان احد رهباننا من

اغلاط العامّة ». فاذا صح جمع السطح على اسطحة فجمع جمعهِ على اساطح صحيح لا غبار عليهِ مثل أسنية وأساني

واما « تراعى » فانهُ لم يُذكر في كتب متن اللغة الّا انهم قالوا راعى ثبت بذات الوقت تراعى. واما تراعق فلم يرد في دواوين لغتهم بل ولا زاعق. فاذا ثبت ورودهُ وصحّ كان من المستدركات ومعناهُ يصيح بعضهم على بعض طرداً للنوم. — ومن هنا ترى منفعة جمع الروايات المختلفة الواردة في الكتب الخطيّة المختلفة بوجب قدمها والمقابلة بينها

١) المسعودي اسم نهر كان يصبّ في دجلة بين بستان الاباء الكرمليين حالاً وبستان حاتم محمد علي. وهو اليوم قد سدّ لما تراكم فيهِ من الرمال وكان اسمهُ في القدم نهر عيسى

الاخوة يتجوَّل مع بعض الاعراب إذا بهؤلاء زعقوا زعقة قائلين : « ها هوذا الزبزب » وما كاد « الاخ أجيد المنتسب الى القديس يوسف » يسمع هذه الكلمات الّا واطلق بندقيتهُ مرَّتين فأصابهُ . فأخذ الزبزب يهجم عليهِ فولّى الأعراب مولولين وَالهين . واما الاخ فاقدم عليهِ بقلب قُدَّ من جلمود حتى أصماهُ . وبعد قتلهِ أياهُ جاء الاعراب وهنّأوهُ قائلين لهُ : يكفيك شرفاً وشجاعة ان يقال عنك انك « قاتل الزبزب » (١

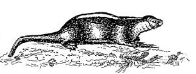
٣ (وصف الزبزب) بعد ان رأيناهُ رايَ العين سهل علينا وصفهُ ومعرفتهُ ولم نعد نسمع تلك الحكايات التي يلفقها اولئك الاقوام الجهَلة بخصوص امورهِ وآدابهِ واكلهِ وشرابهِ . فالزبزب من الحيوانات ذوات الثُّدي من رتبة آكلة اللحوم من فرقة الماشيات على اخمصها . ومن مميّزاتهِ الخاصة بهِ والفارقة أياهُ من سواهُ هي الراجعة الى نظام اسنانهِ . فمجموعها ٣٦ سنًّا . منها ٦ قواطع ونابان وذلك في اعلى الفك واسفلهِ و ٨ أضراس في الفك الاعلى و ١٢ في الفك الادنى واشهر هذه الاسنان هي الدرديّة النابتة في الفك الاعلى وحجمها ظاهر لان عرضها يساوي طولها

والزبزب حيوان ينساح انسياحاً في مشيهِ (٢ وذنبهُ قصير لا يتجاوز ٢٥ سنتمترًا وذلك من عجبهِ الى طرفهِ السائب . وهذا الحيوان ضخم الرقبة وعيطها ١٧ سنتيمترًا ويداهُ اطول من رجليهِ وعلوّ يديهِ عن الارض ٢٠ س ورجليهِ ١٩ س . واظافيرهُ سوداء حادَّة الراس ضخمة عند المغرز وهي ناشبة كل النشوب في اللحم . واظافير يديهِ اطول من اظافير رجليهِ ضعفين وهذا ما يمكنهُ من الحفر بسرعة وبسهولة كلية وهو

١) هذا الزبزب بعد ان قُتل نُقل الى دار الرسالة في بغداد فاخذهُ الاب بطرس ماري الكرملي وصبَّرهُ وحنّطهُ وجعلهُ في معرض الحيوانات الراجعة الى الرسالة وهو يشاهد هناك الآن وفي شيثا (ferme) فلاحون واتفق انهُ بعد ان قُتل الزبزب راى الفلاحون حفرًا وآثار مخالب من وراء بيوتهم من الجهة المقابلة لنهر دجلة على طريق العابرين فظنّ هؤلاء المساكين ان اخوة ذلك الزبزب جاءت تثأر القتيل منها . فوقع رُعب في قلوبهم لا يشبههُ رعب ولاسيما نساؤهم ولم يُرد بعد ذلك احد من الفلاحين ان يبقى في شيثنا . فاخذتُ في إفراخ روعهم فلم أفز بطائل . فذهبتُ معهم لاتحقَّق الامر فرأيتُ حقيقةً عدَّة حفر الّا اني لمّا فحصت آثار المخالب رأيتها خدش ونحش كلاب لا غير فضحكتُ وسكّنت جأشهم بعد العناء العظيم . وعلى مثل هذا الوجه تتولَّد الخرافات وتنشأ وتشيع على الالسنة

٢) قال الجاحظ : الحيوان على اربعة اقسام : شيء يمشي . وشيء يطير . وشيء يسبح . وشيء ينساح . (اي يزحف على بطنهِ) ومشي الزبزب اقرب الى الانسياح منهُ الى العدو

اذا حفر سربَهُ جملة مدوَّر المدخل. وطول اظافير يديهِ ٥ سنتيمترات وهي خمسة في كل من يديهِ ورجليهِ. ومحيطُ غلظ يديهِ ٢٠ س وطول الحيوان من طرف خطمهِ الى آخر طرف ذنبهِ ٩٧ س. وطولهُ من ترقوتهِ الى عَجب ذيلهِ ٥٧ س. وشعرهُ طويل طول الواحدة يختلف بين ٥ الى ٧ سنتيمترات. وشعر عجزهِ اطول من شعر بقية جسمهِ وشعرهُ يشبه شعر الخنزير متانةً. واذناهُ قصيرتان سوداوان ومختفيتان بين شعر رأسهِ وخطمهُ صغير قصير بالنسبة الى جسمهِ وعيناهُ صغيرتان براقتان. وللانثى ٦ أثدٍ اثنان منها على صدرها والاربعة الباقية على بطنها. وتحت العَجب نافحة مستعرضة الانفراج ترشح منها مادَّة دُهنية سهكة ذفرة كريهة الرائحة. وهذه صورتهُ



والناظر الى هذا الحيوان المرَّة الاولى يتخيل ان قد أُلقي على ظهرهِ دثار ابيض لان اعلى ظهرهِ ابلق وبقية جسمهِ اسود فاحم والبياض يغلب على السواد من جهة صفحتي بطنهِ يمناً ويساراً وبخلاف ذلك عند عجزهِ واما بقية ظهرهِ فيكاد السواد والبياض يكونان على تناسب محدود. وهذا البياض وهذه البلقة تمتد من اعلى عينيهِ الى آخر طرف ذنبهِ او يكاد. والبلقة لا تتجاوز اعلى يديهِ ورجليهِ وما يوازيها من بقية جسمهِ وطول امتداد البياض ٨٠ سنتيمتراً

هذا وصف الزِّرْب الذي قُتل في بستاننا. وهو يختلف بعض الاختلاف عن سائر الزرازب المنتشرة في سائر البلاد. ونحن نصفها هنا اتماماً للفائدة. فنقول:

٦ (انواع الزرب) اشهر انواع الزرب هو: الزرب المشهور وهو المعروف عند الفرنسيس باسم taisson او blaireau commun وفي اللسان العلمي meles taxus او meles vulgaris وطولهُ ٦٠ سنتيمتراً الى العَجب شعرهُ طويل ابلق

وهو على بطنهِ اسود وعلى كل صفحة من راسهِ جُدَّة سوداء. وهو يعيش وحيداً ويأوي الى الغابات الغبياء. يحفر فيها سرَبهُ متعرّجاً وعلى مَيْل في آخرهِ. وطعامهُ انواع الاثمار من الانواع الشبيهة بالعنب واذا لم تقع بيدهِ الاثمار اكل الفيران والجرذان والمناجذ والضفادع والحيّات والجراد وسائر الدويبات كالوزغ ونحوها. وهو كثير الوجود في ديار الافرنج واميركة الشمالية يسميه اهل هذه البلاد الاخيرة باسم كركاجو (carcajou) وبلسان العلم (meles labradorica). وفروة الزبزب ليست من الجنس الفاخر ويتّخذ السروجيون في بلاد الافرنج جلد هذا الحيوان ليكسوا بها أطواق الدواب او يصنعوا منها سيور المُدَّة. ويُتّخذ شعرهُ لصنع الفُلَيبات (pinceaux) أو لنوعٍ منها يسمّونهُ زَبْزَبيّة « blaireau » يستعملها الحلّاقون لإذابة الصابون ولطخهِ على ما يُحلَق من الشعر. وزبزب اميركة اصغر حجماً من سائر الزبازب المشهورة

ومنهُ الزَّبْزَب الهندي واسمُهُ عند اهل تلك الديار بالي سور (Bali - saur) وبلسان العلماء (arctonyx) على ان الاختلاف بينهُ وبين سائر الانواع زهيد لا يكاد يُنبأ بهِ وربما سمّاهُ الافرنج (blaireau ursitaxa) اي الزبزب الدُّبّي

والزبزب يحب النظافة محبّة عظيمة. وكثيراً ما يأتي الثعلب ويغلبهُ على مأواهُ فيتّخذهُ لنفسهِ وكيفيّة اخذهِ منهُ ان يوسخ مدخلهُ بالرجيع او بشيء آخر فيهرب الزبزب ولا يعود يرجع اليهِ. وهذا الحيوان يقضي ثلاثة ارباع حياتهِ مختفياً في وجارهِ ولا يخرج منهُ الّا ليلاً والذكر يعيش بعيداً عن الانثى وكل منهما في مكمنٍ وتلد الانثى ثلاثة اجرية او اربعة وذلك في الصيف والزبزب اذا أُخذ صغيراً ورُبّي تربية يألف الانسان إلفاً غريباً فيصبح وديعاً حليماً ودوداً متعلقاً بحب صاحبهِ ويأكل كل ما يقع بيدهِ كالكلب. وقد فعل هذا الفعل احد قناصل المسكوب في البصرة قبل سنتين فنجح

وفي باجكة ومقاطعة الأَرْدَين الفرنساويّة يلتهي الناس بان يجمعوا بين الكلاب والزبازب في مَيدانٍ محوطٍ فتتهارش وتتحارب وتتماصّ حتى تنهك قواها او تموت

وصيد الزبزب من أخطر الصيد على الكلاب والناس. ولما كان الزبزب لا يستطيع الحرب لقصر يديهِ ورجليهِ بالنسبة الى كثافة جسمهِ فاذا هاجمتهُ الكلاب اضطجع على ظهرهِ ودافع عن نفسهِ الى ساعة موتهِ وذلك باظافيرهِ الطويلة القويّة

وبأسنانه الحادّة. وفلاحو الافرنج يصطادونهُ بان يُضروا الكلاب به ثم يقبضون عليه بشعب طويل اليد فيأخذونهُ حيًّا. او انهم يضربونهُ بالمراوي ضربًا اليمًا على رأسه حفظًا لجسمه وفروته من التخزيق

٥ً (منافعهُ الطبية)وكان الاقدمون يستعملون كثيرًا دهنهُ لبعض الامراض المضلّة واما اليوم فقد بطل استعمالهُ. وكذلك كان يفعل العرب واليونان والرومان. قال في التذكرة: « هو حارٌ يابس في الثالثة اذا لم يأكل الميتة كان طيّب اللحم يحلّل الرياح الغليظة ويمنع نكاية البرد ويُذهب البلغم وان اكلها صارت رائحتهُ زفرة سهكة ويصير قليل النفع وفروتهُ تسكّن وجع المفاصل والنقرس والخدر والرعشة. » اه

٦ً (اسماؤهُ عند العرب ومعانيها واصل اشتقاقها) اسمهُ المشهور في العراق عند الحضر من اهله: الزيزب او زيزب القبور لانهم يقولون ان الزيزب كثيرًا ما يحفر قبور الموتى لأكل الجثث اذا لم يحصل على طعامه وذلك اذا كان في البادية او في الفلاة. ومنهُ خوف اهل بغداد منهُ. واما لفظة الزيزب فهي ماخوذة من مادة ز ب ب التي تدلّ على كثرة الشعر ومنهُ الأزبّ والزَّباء والزبّب. واما سائر اسمائهُ فان الاعراب عندنا يسمونهُ ايضًا الغُرَيراء. ويلفظونها الغُرَيرة والاسم مشتق من مؤنث الأغرّ وسمي بذلك لان الاغرّ ما كان من الخيل في جبهته غرّة والحسن والابيض من كل شيء والحال قد قلنا ان ظهرهُ ابيض وكذلك اعلى راسه الى قريب من عينيه فاسم الغريراء لا يخلو من وجه فصيح في تخريج معناه (١. وقد قال الشاعر واصفًا اياهُ:

لهُ من الليث نابانُ ومخلبُهُ ومن غرير الظباء النحرُ والجيدُ

وبعض العرب يسميه الطَّبَرة كما ذكرهُ صاحب الكامل ونقلناه عنهُ في صدر المقالة. والطبرة مقصر كلمة « طابرة » من طبَرَ اي اختبأ لانهُ يختفي تحت الارض مدة تساوي ثلاثة ارباع حياته. على ان البعض يظنون انَّ اللفظة هي « طيرة » بالياء المثناة وهذا ايضًا لا يخلو من وجه صحيح للتسمية فيكون اللفظ ماخوذًا من طار بمعنى اسرع

---

١) ويجوز ان يقال في الغُرَيراء: الغُرَيرة بمعنى « ذات الغُرَيرة » من باب حذف المضاف. والغُرَيرة تصغير الغُرّة وهي بياض في جبهة الفرس قدر الدرهم وكذلك هي في جبهة الزيزب

والطيرة تكون مقصورة من طائرة كما ان الطير قصرُ الطائر على ما يقرره بعض اللغويين ووصفهُ بالسرعة اليونان ايضاً فقد سموه (τρόχος) من فعل (τρέχω) اي طار بمعنى اسرع في المشي اسراعاً والمعنى الطائر للمذكر او الطيرة للمؤنث. وقد وردت لفظة الطيرة في بعض نسخ كتاب الكامل لابن الاثير مما يدل على ان هذا التصحيف قديم مشهور

ومن اسمائهِ « الثُّفاء او الثُّفا » قال في التذكرة: الزيزب هو المعروف الآن بالثفاء وفي بعض النسخ الثفا (بالقصر) وهو حيوان اعظم من السنور يبلغ في حجم الكلب الكبير كثير الصوف مخطط الوجه ناعم يوجد في البر وقرب الغار ويدول بنابهِ على ضعف فيه.» اه. وقال في حياة الحيوان الكبرى للدميري (١: الثُّفا بالثاء المثلثة وبالفاء والالف في آخرهِ : السنّور البرّي وهو قريب من الثعلب على شكل السِّنّور الاهلي اه. قلتُ : وفي هذا الكلام نظر لان الثُّفا (اذا كانت هذه الرواية صحيحة) هو حيوان كسنّور البرّ وليس بهِ كما رأيت مما تقدّم ايضاحهُ. واما اللفظة فلم نجدها في غير كتاب الدميري والتذكرة ونظن ان الرواية الصحيحة هي الثُّنَة او الثُّفَّة وكلاهما من اسماء الزِّيزب. اللهمَّ الّا ان تكون اللفظة من ثَفَاهُ يثفوهُ بمعنى تبعهُ لانهُ يتبع صاحبهُ اذا ادبهُ وثقّفهُ. على اننا نختار راي التصحيف. قال الدميري في التفة : « التفة ويسمّى عناق الارض والعَنجل (كذا في الاصل المطبوع) . وفي كتابنا المخطوط الذي تاريخ كتابهِ ٨٧٠ هـ — ١٤٦٥ م القُنجل بجيم او القُنْحل بحاء، وهما بمعنى العبد. وكل هذه الروايات غلط والاصح الغُنجل او القُنجل بنون او بتاء موحدة فوقية ثم نون ثم

١) رواية نسختنا الخطية هي « الثفاء » هكذا مضبوطة بثاء مثلثة مضمومة وبفاء موحدة مفتوحة والف ممدودة » ونسختنا قديمة تاريخ كتابتها سنة ٨٧٠ قد كُتبت ٦٢ سنة بعد وفاة الدميري مؤلفها وعلى النسخة التي خطّها المؤلف نفسهُ وقد قرئت وصُحّحت على عدّة علماء وخطّها جلي بديع مضبوط في اغلب المواطن. والصفحة الاولى مذهّبة ابدع تذهيب وهذا نصّ ما ورد فيها: « المجلّد الاوّل من حياة الحيوان الكبرى. —تأليف الشيخ الامام العالم العلامة كمال الدين الدميري رحمهُ الله. —برسم الخزانة الشريفة المالكية الملكية المؤيدية الشهابية اجزل الله تعالى عاقبتها ». وقد تملك النسخة جماعة من اكابر العلماء كما يُرى ذلك من حقوقهم واسمائهم التي تُقرأ في الصفحة الاولى المذهبة المذكورة . وفي عدّة مواطن من الكتاب فوائد جمّة علّقها العلماء بالفاظ وجيزة تدلّ على كثرة الايادي التي تداولت هذه النسخة البديعة النادرة المثال

جيم) نوع من السباع نحو الكلب الصغير على شكل الفهد وصيدهُ في غاية الجودة والملاحة. وربَّما واثب الانسان فيعقرهُ ولا يطعم غير اللحوم. وربما صاد الكركي وما قاربهُ من الطير فيفعل بهِ فعلًا حسناً. وقد وصفهُ الناشئ في ابيات منها:

حلو الشمائل في اجفانهِ وطَفٌ ... صافي الاديم هضيمُ الكشح ممسودُ
فيهِ من البدر اشباهٌ توافقهُ ... منها لهُ سُفُعٌ في وجههِ سُودُ
كَوَجهِ ذا وَجهُ هذا في تدوُّرهِ ... كأنهُ منهُ في الاجفان مَمْدُودُ (١
لَهُ من الليث ناباهُ ومخلبهُ ... ومن قرير الظباء النحرُ والجيدُ
اذا رأى الصيدَ أخفى شخصَهُ ادبًا ... وثابهُ باقتناص الطير مَزْؤُودُ (٢

وقال في حكمهِ: يحرم اكلهُ لعموم النهي عن اكل كل ذي ناب من السباع. وقال بعض اصحابنا: انهُ السنور البريّ وانهُ قريب من الثعلب. وهو على شكل السنور الاهليّ. وفي حكمهِ وجهان: اصحهما التحريم لانهُ يأكل الفار. وقال في الامثال: قالت العرب: أغنى من التُّفَّة عن الرُّفَّة. والرُّفَّة التبن. والاصل فيهِ رفهة وتفهة. قال حمزة (وفي مخطوطنا: خمرة) وجمعها تفات ورفات قال الشاعر:

غنينا عن حديثكمُ قديمًا ... كما غني التُّفات عن الرفاتِ

ويقال ايضًا: استغنت التُّفَّة عن الرُّفَّة. وذلك ان التفة سبع (٣ لا يقتات الرفة اصلًا وانما يغتذي باللحم فهو يستغني عن التبن. والمعروف في التُّفَّة والرُّفَّة. بتخفيف الفاء وقال الاستاذ ابو بكر: هما مشدَّدتان وقد اورد الجوهري في باب الهاء فقال التفه والرفه. وفي الجامع. مثلهُ الّا انهُ قال: ويخففان. واما الازهري فانهُ اورد الرفه في باب الرفت بمعنى الكسر. وقال ثعلب عن ابن الاعرابي: الرفت التبن. وفي المثل: اغنى من التفه عن الرفت بالتاء. قال الميداني: وهذا من اصحّ الاقوال لان التبن مرفوت اي مكسور. اه.

---

١) وفي نسختنا الخطية مَقْدُودُ ... ٢) وفي مخطوطنا: مَرْؤُودُ

٣) ان وهم العرب في اكل هذه الدابة الوحشية مبني على كونهم اعتبروها من السباع. وهم يتعبرون سبعًا كل ما كان ذا ناب (راجع الدميري في مادة الخنزير البريّ) ولما كانوا يعتقدون ان السباع لا تأكل الّا اللحوم نشأ هذا الوهم فيهم بخصوص الزِّبْرِب. على ان الاصحّ ان هذا الحيوان هو من السباع والبهائم معًا. اي انهُ من الحيوانات التي سمّاها الجاحظ « المشتركة » فهي تأكل العشب وما شاهاهُ كما تقدَّم القول في طعامهِ. كما تأكل ايضًا صغار الدويبات على حدّ الخنزير وما كان من فصيلة الزِّبْرِب نفسهِ. وعلى كل حال فالتُّفَّة لا تغتات الرفة البتَّة

وقال في عناق الارض: دويبة اصغر من الفهد طويل الظهر يصيد كل شيءٍ حتى الطير وهو التفة الذي تقدم ذكرهُ في باب التاء المثناة فوق. وقال في نهاية الغريب: قال قتادة: عناق الارض من الجوارح دابة وحشية اكبر من السنور واصغر من الكلب والجمع. عُنوق. يقال في المثل. لقي عناق الارض وأذُني عناق. اي داهية يريد انها من الحيوان الذي يُصاد بهِ اذا عُلّم (١. اه

ولم يذكر شيئاً عن مادة (القُنْجُل) او (القَنْجَل) او (القُنْجُل) او (القُنجول) وقد قال صاحب تاج العروس: القُنْجُل اهملهُ الجوهري. وفي اللسان: هو عناق الارض. ويُروى بالعين. وقد تقدم عن ابن خالويه. وقد ذكر صاحب التاج العُنجـل بالعين والعُنْجل بالعين المتوطة بهذا المعنى ايضاً

وقال المرتضى في عناق الارض: دابة صيّادة يقال لها التفة والعنجول وهي اصغر من الفهد طويل الظهر. وقال الازهري: فوق الكلب الصيني(٢ يصيد كما يصيد الفهد ويأكل اللحم وهو من السباع. يقال انهُ ليس شيءٌ من الدواب يُؤَبِّر اي يُعفّي اثرهُ اذا عدا غيره وغير الارنب. وجمعهُ عُنوق ايضاً. عجميتهُ: سِياه كوش. قال: وقد رايتهُ بالبادية وهو اسود الراس ابيض سائرهُ ». اه

وقال صاحب التاج في التُّفَة: دويبة كجرو الكلب. قال: وقد رأيتها او كالفارة

١) لا نرى كيف ان الكاتب استنتج هذه النتيجة وهي: « يريد انها من الحيوان الذي يُصاد بهِ اذا عُلّم » فما هما المقدمتان الموطئتان لهذه النتيجة. وقد نقل هـذا الكلام الغريب غير واحد من الكَتَبة على ما فيهِ من ضعف الاستنتاج. ثم ان هذا الحيوان اذا عُلّم الصيد تعلّمهُ. لكن بين ان تكون النتيجة هذه وبين ان لا ينتجها شيءٌ فرق عظيم. فليحفظ

٢) ورد في تاج العروس في مادة زأن: « كلب زِئْني بالكسر اي قصير ولا تقل كلب صيني كما في الصحاح ». اه. وهكذا قال ايضاً سائر اللغويين. والحال ان صاحب التاج نفسهُ يقول هنا « كلب صيني » وكذلك فعل سائر اللغويين. والجاحظ من اعظم اللغويين والعلماء قد قال في كتاب الحيوان (٢: ٦٥): « وقد كان في بني ضبّة كلب زِئْني صيني يُسرَّج على راسهِ فلا ينبض فيهِ نابض » فقد جمع بين اللفظتين. والخلاصة انهم قالوا ويقولون كلب صيني كما يقولون كلب زِئْني (basset) لاسيما لانهم قد يبدلون من الزاي صاداً ومن الصاد زاياً ومنهُ: جاءتنا زَمْزَمةٌ من بني فلان وصَمْصَمة. ونشزت المرأة ونشصت. والشرز والشرص وهو الغلظ الخ

وهذا نقلهُ ابن دُرَيد (١ . وقد انكرهُ الاصمعي (٢ . وقال الصاغاني: هذه الدابَّة من الجوارح الصائدة وكانت عندي منها عدَّة دوابّ وهي تكبر حتى تكون بقدر الخروف حسنة الصورة (٣ ويقال لها « الفنجل » و« عناق الارض » . فارسيتهُ : « سِياه گُوش » . وبالتركيَّة « قرا قلاغ » (٤ وبالبربريَّة « بنه كدود » ومعنى الكل : « ذو الآذان السود » واكثر ما تجلب من البرابرة وهي احسنها واحرصها على الصيد . قال : واول ما رأيت هذه الدابة في مَقْدَشُوه » اه

اما سبب تسمية التُّفَّة بعناق الارض فلأن العناق هو الانثى من اولاد المعز والتفة شبيهة بعض الشبه للعناق . وسبب تسميته بالتُّفَّة مأخوذ اما من التُّفّ وهو وسخ الظفر ومن باب التوسع مطلق القذر كما قالوا : تُفًّا لك : اي قذرًا وبعدًا . وذلك لوسخ كريه الرائحة عند منبت ذنبه كما رايت . او من التَّفَه وهي القلة والخساسة لقلة اعتباره وخساسته فيقال في الاول التُّفَّة بتشديد الفاء وفي الثاني التُّفَة بتخفيفها وكلاهما فصيح .

واما الفُنجل وقد ذكر لها ابن سيدة في المخصص (٨ : ٧٤) من الروايات الخَنْجَل والحُنجُل والفُنجُل . وفي التاج : الفُنجُل ايضًا فكلها راجعة الى الفُنجُل من الفَنجَلة وهي تباعُد ما بين الساقين والقدمين . وهذا التباعد موجود خلقةً في التُّفَّة ولذا ترى مشيتهُ ضيقة وهي الفَنجَلة والفَنجَلى . والمادة الرباعيَّة فنجل مأخوذة من فَ ج ج ومنهُ الفَجَج وهو انفراج ما بين الرجلين عند المشي . ثم زادوا اللام وهي من الحروف الذُلق لزيادة معنى الرخاوة فَجَلَ الشيء : استرخى . والأفجل : المتباعد ما بين القدمين .

١) كذا وردت في جميع دواوين اللغة عند نقلهم كلام ابن دريد اي بالفاء الموحَّدة بعدها الف هاوية او مهموزة ثم راء بعدها هاء . والاصح كالفارة بقاف مثنَّاة فوقيَّة يعني الدُّبَّة . وقد رأيتَ ان علماء الافرنج كانوا يظنُّون ان الزِبزب نوع من الدبّ حتى انهم سمّوا نوعًا منهُ الدُّبّ الزِبزبي او الزِّبزب الدُّبّي (ursitaxa) فلا غُبار على كلام ابن دُرَيد وكان من العلماء الأعلام . فاحفظه

٢) قلتُ : ولا حقّ للاصمعي بعد هذا الشرح الظاهر ان ينكر على ابن دُريد قولهُ الصحيح

٣) كذا . وهي قبيحتها . الّا ان الاذواق لا تكون في الجميع على اتفاق

٤) قلتُ : والآن يكتبها الترك قره قُولَق أو قُولاق

ثم زادوا النون فزاد في المعنى الرخاوة والضعف في المشي . فتأمّل في اسرار اللغــة العربيّة

واما ما يُنتقد على من كتب على هذه المادّة او هذا الحيوان فما عدا ما ذكرناهُ ما جاء في محيط المحيط في مادّة ع ن ق . قال : وعناق الارض دابّة . . . يُقال لها الفُنة مفرد الفُنّات . والاصح النُّفّة مفرد النفات . وتابعهُ في هــذا الغلط الاب بلو اليسوعي في معجمهِ الفرنسي العربي . وذكر صاحب دائرة المعارف الزّبزب ونقل كلام صاحب العُباب في قولهِ : الزبزب دابّة كالسنّور . ثم قال : « قال ابن الاثير في تاريخهِ الكامل في حوادث سنة ٣٠٤ » الى آخر ما هنالك من الكلام وذكر اسمه (zabzab) كما في العربيّة ولم يَعتنِ لمعرفة هذا الحيوان ومـا لهُ من الاسماء الكثيرة عند العرب وكذا فعل القزويني كما مرّ بك . وذكر قزميرسكي النُّفّة وفسرها بالفرنسوي : (karakal, chat cervier) وهو غلط . وعلى هذا المثال ذكرها في عناق الارض والغلط واضح والاصح (blaireau) واما اللغوي الانكليزي لين (Lane) فمن بعد ان قال ان عناق الارض هو بالانكليزيّة (badger) وباللاتينيّــة (ursus meles) زاد : « والظاهر أن هذه التسمية لا تنطبق كل الانطباق على ما يأتي من أوصـافه وهذا كلامهُ بالانكليزيّة : (But this application does not well agree with the following descriptions)

ثم نقل بعد ذلك ما خبط العرب فيهِ من الوصف . وقد بيّنا ان ذلك لا يُعتَدّ بهِ . ولا سيما بعد ان ذكروا ما يقابلهُ في الفارسية والتركية والعبريّة من الالفاظ الدالة عليهِ . فاذًا لا اعتــداد بما قالهُ « لين » من الاقوال المشيرة الى العدول عن فكرهِ الاول . اذا اسمهُ بالانكليزية (badger) لا غير

وقال صاحب البرهان القاطع في « سياه كوش : نوع من الحيوان اسمهُ بالتركيــة « قره قولاق » تتخذهُ ملوك ايران للصيد . ويلازم الاسد كل الملازمة ويجاريهِ عدوًا » اه . وهذا المؤلف زاد وهمًا على وهم . فكون اسمــهُ « قره قولاق » امر معروف . واما كون ملوك ايران تتخذهُ للصيد وانهُ يلازم الاسد كل الملازمة ويجاريهِ عدوًا » فهذا لا ينطبق عليهِ بل يصح على القُرناق او البعر او البريد وبالفرنسيّة : (tigre royal ou ordi-

naire) فاين التُّفَة وهي العناق عناق الارض او السياه كوش من البَبْر او الفُراق او البريد. فالفرق عظيم

وقال المذكور في مادة « بُرْوانك » وهو الفُراق: بُروانك على وزن أُبوانك حيوان وحشيّ اسمهُ بالتركية « قره قولاق » يتقدَّم الاسد بين يديهِ والوحوش اذا سمعت صراخهُ تنطر قدوم الاسد فتحيد عن سبيلها الى طريق آخر واذا بقي شيءٌ من صيد الاسد يأكلهُ هذا الحيوان اه تعريباً. فمن هنا ترى ان المؤلف خلط جملة امور خلطاً شنيعاً. فالمسمَّى قره قولاق هو حقيقة التفة لكن التفة لا تتقدَّم الاسد ابداً بل تخافهُ فالذي يتقدَّم ويصيح بين يديهِ هو الفُراق اي البَبْر كما صرَّح بهِ صاحب شفاء الغليل وغيره من اللغويين والعلماء. لكن البَبْر لا يتدنَّى الى اكل ما بقي من صيد الاسد بل عند الحاجة يهاجم الاسد نفسهُ. فاين هذا من تحقيقات العلماء

وقال في النهاية: عناق الارض من الجوارح هي دابة وحشية اكبر من السنور واصغر من الكلب والجمع عُنوق وفي المثل: لقي عناق الارض وأُذُني عناق اي داهية يريد انها من الحيوان الذي يُصطاد بهِ اذا عُلّم. اه

قلنا: ان كلام العرب لقي عَناقَ الارض وأُذُني عناق للدلالة على الداهية كلام يُشعر ان العرب كانت منذ القدم تخاف هذا الحيوان لصولتهِ وبأسهِ ومنهُ كلامهم الأثرد. فليس اذاً اهل بغداد اول من خافهُ. ومثل صاحب النهاية قال صاحب الدر النثير

واما صاحب سِرّ الليال فقد قال في التُّفَة دويبة كجرو الكلب او كالفارة. اه. وقد رايت سقط هذا القول. فالتفة اكبر من جرو الكلب فكيف لا تكون اكبر من الفارة او كالفارة. وقد مرَّ بك ان صحيح الرواية ان التفة هي كالقارة بقاف مثناة فوقية اي كالدُّبة. ومن العجب ان احمد فارس الشدياق لم يتثبت صحة هذا التفسير او التأويل وهو مشهور بتدقيقهِ اللغوي وتتبع اللغويين في خبايا مخارزهم

وقال صاحب الاوقيانوس: الزرب: على وزن عُنَّب دابة وحشية اسمها يورصوق بالتركية وشكّار بالفارسية وهو عدوّ الاسد وينتفخ وينتفش عند المهاجمة. » اه. فقولهُ « اسمهُ بالتركية يورصوق وبالفارسية شكار » فصحيح اذ يصدق ذلك على التفة او عناق الارض. واما قولهُ: « وهو عدو الاسد » فالواقع يخالف هذه الرواية. وقد مرَّ ان عدوّ الاسد هو البَبْر او الفُراق او البريد

وقال عاصم افندي في مادة الفرانق: الفرانق على وزن عُلابط الاسد. ويأتي بمعنى البريد وهو قائل الاسد واسمهُ بالفارسية پَرْوانك ولا يمشي بين يدي الاسد ويُنذر الوحوش بهِ... قال المترجم (يعني مترجم القاموس وهو صاحب الاوقيانوس اي عاصم افندي) ان صاحب البرهان يفسر البَرْوانك بكلمة قره قولاق. اه المراد من نقلهِ. فانظر كيف ان المؤلفين لا يتفقون في تعيين الالفاظ الاعجمية للالفاظ العربية لجهلهم علم الحيوان والاصحّ ان قره قولاق او قره قولاق او قرا قلاغ هو نفس اليورصوق او اليرسوق او اليرسوق او البورسق او البورزوق او اليورزوق فهي اسماء لمسمّى واحد كما ان الاسماء العربيّة المتعدّدة لمسمّى واحد. وكذلك اسمهُ بالفارسية شكّار او شَغار او شَغْر او شَغْوَر او شَغارة ومثلهُ قياوار وقياور. وواهم وفنك. فالمراد بها كلها واحد. وقد اخذنا هذه الروايات واختلافاتها من عدّة دواوين لغويّة تركية وفارسية

واما أسماؤهُ العربيّة فكثيرة نجمعها هنا وهي: الزِّيزَب (١ والغُرَيْز والغُرَيْرة(٢ والغُرَيْراء (٣ والطَّبَرة. والطَّيْرة. والتُّفَة. والتُّفا. والسُّفا. والقُنْجُل. والقُنْجُل

١) الغُرَيْز وردت في كتاب نظام الحلقات في سلسلة ذوات الفقرات للدكتور جورج پوست الاميركاني في الجزء الاوّل من طبعة ١٨٦٩ ص ٤٣ قال: عناق الارض الاعتيادي (بيلس فوبلارس) وهو الغُرَيْز. قلت ولعلّ اللفظة معروفة عند بَدْو ديار الشام او عند عوامّها. والّا لما كان يقول: « وهو الغُرَيْز » ابزيد في تعريفهِ. والغُرَيْز تصغير الاغرّ على الترخيم كما قالوا في احمد: حُمَيْد. فيكون لفظ الغُرَيْز للذكر والغُرَيْراء. وغُرَيْراء للانثى والتسمية توافق المسمّى اصطلاحاً ووضعاً

٢) الغُرَيْرة ذكرها دوزي في كتابهِ ملحق المعاجم العربيّة للدلالة على السنجاب نقلاً لبطرس القلعي (Pedro d'Alcala) ولا نرى كيف توافق هذه التسمية للسنجاب

٣) ذكر دوزي الغُرَيْراء قال: « ضَرْبٌ من الخراطين Espèce de ver de terre) وهو يُترجم قول احد العرب واسمهُ علي بن محمد ابي الفتح ابن دُرَيْهم الموصلي (المتوفي في بغداد سنة ٧٦٣ هـ وله كتاب « منافع الحيوان » موجود منهُ واحد خطيّ في مكتبة الاسكوريال وهو يعرّف الغُرَيْراء بقولهِ: « الغريراء وهو دابة لهُ شعر » يريد بذلك: كثير الشعر. والّا فكل الدوابّ لها شعر. فظن دوزي ان معنى دابة هنا يعني « دودة الارض يعني الخراطين » والحال ان هذا الكلام من قول المؤلف. وعندنا ان الغُرَيْراء في كتاب منافع الحيوان هي نفس الغريراء عند اهل البادية المشهورة بزِبّها اي كثرة شعرها اي الزيزب. وليس هذا اول غلط غلطهُ دوزي فان اغلاط كتابهِ تُعدّ بالمئات لا بالعشرات. واملنا نخدمهُ يوماً خدمةً لاهل العلم والادب

والغُنجُل · والقُنحُل · والعُنجل · وعناق الارض · والخَنجَل · والخُنجُل · واغلبها مستدركة على اصحاب المعاجم وقد استخرجناها من عدة كُتُب كما تقدَّم نقلهُ وتنصيلهُ في محلّهِ (١ ثم ان الزبزب يسمّيه بعض اهل بغداد في عدة محلّات المدينة البَزْبَز بالقلب

وخلاصة تعريفهِ: انهُ حيوان من ذوات الثدي من رتبة اكلة اللحوم من فصيلة الغرّة (mustélidées) يشبهُ بصورتهِ الفأرة اي الدُّبة · وقد يأكل غير اللحم عند مسيس الحاجة (٢ · هذا ما اردنا تحقيقهُ خدمةً للعلم وابنائهِ ولاسيا خدمة للأمة العربية التي يكثر في الفاظها العلمية الايهام لقلة التدقيق والتمحيص في الكلام · وربّك وحدهُ هو العليم العلّام

---

١) قد تكثر الالفاظ عند العرب لمسمّى واحد وهم يعرفون كل اسم على حدةٍ وتعريفاً يتلف بعض الاختلاف او كل الاختلاف عن سائر معاني الالفاظ المرادفة فيوهمون بسماعهم هذا ان المعرَّف هو حيوان جديد او حيوان آخر غير معروف او هو غير المعروف باسم آخر · ولهذا كثر الوهم في الالفاظ العلميَّة · ولو علموا العلم الصحيح لأحالوا النظر على اللفظة المشهورة بدون تعريف جديد

٢) ومماَّ يجب حفظهُ هو ان زُبْزُب العراق يختلف عن سائر زبازب البلاد · مماَّ تقدَّم وصفهُ في صدر المقالة ولهذا نسميهِ علمياً الزبزب العراقي : (mcles aut taxus mesopotamius) واختلافهُ عن سائر ابناء جنسهِ ان زبزب العراق أكبر وليس في وجههِ جُدَّتان بيضاوان · ويزيد الفرق اذا ما عرفتَ وصفَ زبزب ديار الافرنج · قال الدكتور جورج بوست: « لونهُ سنجابي مائل الى الاحمرار الأ وجههُ وبطنهُ فان الاول منهما ابيض وانهُ خط اسود ممتدّ من الانف الى ما وراء الاذن على كل من الجانبين والبطن اسود · طولهُ نحو قدمين ونصف »

ومماَّ يحسن ذكرهُ هنا تفكهةً للقارئ ما حكي المذكور عن محبّة هذا الحيوان لابناء جنسهِ قال: ان الغُرَيْر شديد المحبّة نحو جنسهِ قال احد الصيّادين: قتلتُ غُرَيْراً فاوصلتُ لجثتهِ حبلاً لاجرَّهُ الى ضيعتي واذا بصيحة وظهر غريراء آخر فرميتهُ بحجارة لكنَّهُ دنا مني وابتدأ يلحس رفيقهُ الميت فكففتُ عن رجمهِ وطفقتُ بجرّ الميت كما تقدَّم · واذا بالغرير الحيّ امسك باذن الميت ومدَّد ذاتهُ عليهِ وهكذا انجرَّ الى وسط الضيعة ولم ينتبه الى تراكم الناس والكلاب · فلم يزل ملتصقاً بهِ حتى اماتوهُ فاحرقوا جسمهُ زاعمين انهُ جنّ

فوائد الورق

للاب انطون رباط اليسوعي

كتب العالم هنري دي بارفيل (H. de Parville) في المجلة العلميّة فصلاً وصف فيه هديّة غريبة في بابها اهداها اليه احد معامل المنسوجات وهي كِساء على نسق الكبّود او « السلطة » من الورق الشفّاف الناعم المتين مفصّلاً تفصيلاً انيقاً على آخر زيّ باريسي يُطوى فيُجعل في محفظة ويُحمل في الجيب زِنتهُ خمسة واربعون غراماً فقط فاستعملهُ في السفر وقاية من البرد اذا قرس فالفاهُ من الطف التحف واخفّ الاحمال وانفع الامتعة

ثوب من ورق لأمرٌ يستغربهُ القارئ وهو يعتبر ان الورق لم يُجعل الّا للكتابة او لفّ البضائع فما أنهم يستعملونهُ الآن بانواع عجيبة لكثير من الثياب والآنية وادوات المساكن والمطابخ اعني من الازيان الى الطياجن ويعمّرون به البيوت الى غير ذلك من الغرائب. وليس الاختراع حديثاً فان اليابانيين قد سبقوا اليه ولئن كانوا لم يتقنوهُ في الماضي اتقانهم لهُ بعد ان ترقّوا في معارج العلوم الحديثة فبرّزوا على كثير من اساتذتهم.

ولكي تفهم فائدة استعمال الورق كثياب للملبوس دفاعاً للبرد عن الانسان لا بدّ لك من ان تعرف ان احساس الانسان بالبرد ايام الشتاء متأتٍّ من انحطاط في درجة حرارة الجسم لانحطاط درجة الوسط او الفام المحيط به. وليست الغاية من الثوب الدافئ تدفئة الجسم لكن حفظ حرارته الداخليّة حتى لا تتبخّر فتنحط ولا حاجة في ذلك الى سمك الثياب وتعدادها وتثقيلها لكن الى اختيار ما لا ينقل من الحرارة الّا القليل ويدعوهُ العلم « السيّئ النقل » (mauvais conducteur) إما لاحتباك النسيج حبكاً متشبكاً واما لانسداد مسام السدي بما فيه من الزَغَب او الزئبر كما في الصوف واما لالتحام سطح المادّة كما في الجلد والمشمّع وما شاكلهما. والورق يشاكل الجلد والمشمّع في هذا الالتحام فهو لذلك من افضل حفّاظ الحرارة بل يفضل الجلد والمشمّع وغيرهما لرخص ثمنه وسهولة الحصول عليه

وهذه الواسطة يستعملها الكثيرون للدفاء في اوربّة فان الصيّادين اذا ما ساروا في

المستنقعات والسهول الرطبة لفّوا ارجلهم تحت الجوارب او فوقها بصفحة من الجرائد. واذا ما باغتهم المطر فبلّل ثيابهم ولا من سبيل لابدالها غطوا صدورهم وظهورهم بجريدة ولبسوا عليها الثياب . اما الفقراء في لندن فكثيرًا ما ينامون ملتحفين بجريدة التيمس او غيرها من الجرائد التي تضاهي مُلاءةً بوسعها يستظلونها من المارة او من ركّاب السكك الحديديّة وقد يتعاضون بها عن جوارب الصوف فتقيهم من الزمهرير

وإنّنا جرّبنا الامر بذاتنا في الاسفار والرسالات ايام الشتاء فوجدنا في دفء الجرائد فائدة قد لا يجدها المطالع في قراءتها

لكنّ الورق العادي قليل الرونة لا يُثنى ولا يُركّب على المنوال كما يلصق به النسيج فسدّ الاختصاصيّون هذا الخلل بالامتناع عن تغريته وصقله فجاء لدنًا يشابه الاقمشة

ثم ان الورق سريع العطب يتمزّق لادنى حركة فكيف يقوم مقام الاقمشة وهو اذا خُدش او خُرق لم يحفظ الحرارة الداخليّة فتفقد الغاية؟

قد توصل العلماء الى حلّ هذا المشكل بان غمسوا الورق في مزيج من الحامض الكبريتي (acide sulfurique) وغسلوهُ فاصبح عندئذٍ متينًا كأمتن الاقمشة لا تخرقهُ الموانع ايّةً كانت ولا تنفذ فيهِ فجعلوا يصنعون منهُ الثياب فتباع الجوارب بفرنك ونصف فرنك والكفوف بثلاثة فرنكات والكبود او الصدريّة بسبعة الى عشرة فرنكات وهي قيمة زهيدة لولا ان هذه الامتعة لا تحتمل الغسيل فلا تُلبس الّا ايامًا معدودة . لكنّها ذات فائدة عظيمة في الاسفار اذا ما اراد الانسان ان يحمل عددًا من الثياب في حجم صغير وثقل خفيف . وقد اختبرهُ اليابانيّون في حربهم الاخيرة فأعطوا كل جندي صدريةً من ورق يستعملها عند الحاجة فكانت لهُ خير معين على برد منشورية القارس . وهم يستعملون في بلادهم المناديل او المحارم من الورق تُباع العشرة منها بسنتيم واحد والشمسيّات الملوّنة والقناديل والمراوح وغيرها

ولم يكتفوا بذلك فانّهم زوّدوا كلّ جندي بالمقالي والطناجر والاباريق المصنوعة من الورق . ولكن كيف تصنع ابريقًا او طاجنًا من ورق ؟ ألا يحترق الورق في النار؟ كلّا . ويمكنك امتحان ذلك بنوع بسيط . خذ قطعة ورق واطوِها على مثال علبة وعلّق اطرافها الاربعة بخيط ثم صبّ فيها الماء واجعلها على قنديل من روح العرق

(سبيرتو) او على شمعة فتُسخن الماء وتنفيه ولا يحترق الورق وذلك على شرط ان لا يصل لهيب النار الى اطراف الورق الخالي من الماء . هذا هو المبدأ الذي بنى اليابانيون عليه عملهم فنجح اتمَّ النجاح

ذلك اذا اعتبرتَ الورقة الرقيقة الخفيفة امَّا اذا ضممتَ هذه الصحائف الى بعضها وكبستَها كبساً محكماً استطعت ان تجعل منها ما تشتهيه من الصور والتماثيل والآنية. وصنعُها غاية في البساطة وذلك ان العامل يأخذ بيده القالب او الطابع الذي يريد الصنع على مثاله كما يفعل سابكو النحاس او القُزّ (bronze) ويبل الورق بالماء والغراء ثم يأخذ ورقة بعد الاخرى فيكبسها مستعيناً لذلك بآلة الى ان يملأ القالب فاذا ما نشفت أُخرجت قطعة واحدة متينة على صورة شمعدان لطيف او العربة او صحن او تمثال او غير ذلك فيلونها بالالوان فتُعرض في المخازن او المجالس فتستلفت الانظار . وقد جعلوا يصنعون منها العصي الجميلة وذلك انهم يلفون الورق لفاً محكماً على قضبان من حديد ثم يطبخونها وهي بين لوحين من الصاج يضغطان عليها فاذا ما أُخرجت من الفرن اخذها الخرَّاط واصلحها بمخراطه فدهنها الواناً طبيعيةً يظنها المشتري عصياً من الآجر نادرة المثال . ولهذه البضائع معامل منها معمل في بونتاموسون (Pont-à-Mousson) فيها نحو من الف صانع ومنها معامل أخرى في المانية

ولم تنتصر هنا فوائد الورق فانك ان زدت في الضغط عليه بالمكابس الميكانيكية وطبختهُ قد يضاهي الحديد والفولاذ متانة فيمتاز به عن البلاط في الطرق والشوارع لانهُ يفضل الخشب بالمتانة والحجر بخفة الصوت وكليهما بالقيمة . وقد اتخذوا منهُ دواليب للعربات المنارة ولبعض قطارات النائمة في السكك الحديدية (wagons-lits) وهو انهم يكبسون الورق ثم يقطعونهُ بالآلات دولاباً يطوّقونهُ باطار من فولاذ فاذا ما سار القطار السريع لم يسمع لهُ صوت على السالك الحديدي . ولا يفنى الفولاذ المحيط بالدولاب الّا بعد سيرهِ ٥٠٠,٠٠٠ كيلومتر . وفي ولايات الانزلس معامل لهذه الدواليب لكن طلبها قليل في اوربة

امّا منازل السكنى من الورق فالأسبقية للشعب الياباني في بنائها الجأتهم اليها حالة بلادهم البركانية فلا يكاد يخلو يومٌ من زلزال خفيف او عنيف فجعلوا هيكل المنزل من اغصان البامبو (bambou) متقلّة بعضها ببعض ومدّوا عليها الورق خارجاً

وداخلاً واعتاضوا عن الزجاج بالورق الشفّاف. لكن هذه البيوت سريعة الحريق والفرق ويدخلها السارق كيفما شاء. وزد عليه ان الانسان في الداخل معرّض للنظر من الخارج باسهل الوسائط. اخبرنا احد المرسلين ان صغار اليابانيين كثيرًا ما كانوا يخرقون باصبعهم طرف الحائط او النافذة لينظروا الى الغريب القادم اليهم من البلاد الشاسعة. لكن المنازل الجديدة التي عُمّرت من الورق في كثير من البلاد لاسيا في روسية هي على خلاف منازل اليابانيين فانها مبنيَّة من قطع ضخمة من الورق المكبوس بالآلات بعد غمسهِ بالمواد المانعة للرطوبة والمضادّة للحريق فيجي حائطًا كاملًا تُنقش فيهِ نوافذ وشبابيك وتُبلّط الارض بقطعة واحدة كأنها المدسة المستعملة في بلادنا. فلا تعمل بهِ نارٌ ولا ماء ولا يدخلهُ برد. وقد قرأنا في الجرائد أنهم عمروا حديثًا في احدى مدن نروج الباردة كنيسة عظيمة من ورق. والاغرب من كل هذا هو انهم جرَّبوا سبك المدافع من ورق وتغطيتها بالفولاذ المكين فادّت الامتحانات الى نتائج حسنة لختمها بمقابلة غيرها من المدافع

هذه فوائد جمّة قد يكون لها مستقبل ان كفى الورقُ الجرائدَ والمجلات والكتب وفاض عنها. وذهب قوم انها ستكون احسن واسطة للانتفاع من الوف وملايين من الكتب التي تقذفها كل يوم افواه المطابع وهي ممّا لا طائل تحته فلا تصبر على الأيام والله اعلم

رحلة القس خِدْر الكلداني

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي (تتمة)

قصة بعض مُرسَلين الى مملكة بيكو (فيجو)

سنة ١٧٣١ تعرَّفت بقسيس اسمهُ دون جورجو فهذا جاء سكن في كليج بونطي سيستو (Collegio di Ponte Sisto) وحكى لي انهُ قبل خمس سنين ارسلهُ البابا بناد كتوس (الثالث عشر) مع راهب آخر (١ اسمهُ دون اندريا الى الهند

١) كان هؤلاء الرهبان من البرنَبيين عُهدت اليهم رسالة بلاد برمانية السُّفلى المعروفة ايضًا باسم بيكو او فيجو (Pégou) في اوائل القرن الثامن عشر اشتهر بينهم الاب كَلْكي (Calchi) فوصل الى ملك تلك البلاد ونال منهُ رخصة التبشير بالدين المسيحي وعمّد كثيرين

ليتلمذا الكفار وعباد الاصنام بايمان المسيح فانطلق هو الى الهند الجوّاني خلف الصين وچين وماچين (١ ودخل الى مملكة پيكو او فيجوا وفيها حرّ غاية ما يمكن والناس جميعهم عريانون ما يلبسون شيئاً فهم مثل ما خلقهم ربهم يدورون كذلك بالاسواق فيبيعون ويشترون الّا الاكابر والاغنياء والاشراف فان لهم منديلاً صغيراً يغطون بهِ وسطهم وكذلك النساء لكن الثيات يلبسون (يلبسنَ) اساوير الذهب بزنودهم (بزنودهنَّ) وحجول الذهب بارجلهم (بارجلهنَّ) وعلى صدرهم (صدرهنَّ) الجواهر وفي آذانهم (اذانهنَّ) مراود من الذهب والزمرد ويشدُّون (ويشددنَ) في وسطهم (وسطهنَّ) زنانير من ذهب. واذا مات رجل منهم يحرقونهُ

والبابا كان ارسل مع هؤلاء المرسلين تقادم وهدايا فاخرة من رومية لسلطان الهند حتى يخلّي رسلهُ يكرزون بايمان المسيح فقبل السلطان هدايا البابا ورضي بان يكرزوا في مملكتهِ واطلق في الرعية كل من يشتهي ان يدخل في دين المسيح ويتنصر لا يخاف (يخفْ). فتلمذوا من تلك البلاد ازيد من ثلاثة الاف نفس وبنوا كنائس. ولكن الذين كانوا يؤمنون بالمسيح كانوا يحكمون عليهم بان يلبسوا ثوباً واحداً ابيض تكرامة المئة والحياء ودين المسيح وهكذا يفترقون عن عابدي الاصنام. وعملوا لهم قبوراً حتى اذا ماتوا لا يحرقوهم. وعلموهم الصلوات باللسان الهندي. واما السلطان لم يعتقد بالمسيح لانهُ كان لهُ ٣٠٠ امرأة فحكم عليهِ المرسلون ان يطلّقهم (يطلقهنَّ) ويأخذ لهُ امرأة واحدة على مقتضى ناموس المسيح فما رضي ولا قنع واخيراً ارسل هو ايضاً هدايا للبابا بينها اثنتا عشرة جوهرة فاتى بها الراهب الذي ذكرتهُ مع غيرهِ ولاجل ذلك تركوا بلاد الهند واتوا الى رومية ولهم نيّة بالرجوع الى تلك الاقطار مرّة اخرى

وحكى لي دون جورجو انَّ هؤلاء اهل الهند اكلهم الرزّ فقط يسلقونهُ ويأكلونهُ وبما يأكلون ايضاً الخبز ولحم الخنزير ولا يأكلون لحم الغنم والبقر لانهم يعبدونها ولهم اثمار طيبة يأكلونها. وينزل عندهم المطر ثلاثة اشهر فقط في السنة. وفصل الشتاء حارّ عندهم مثل الصيف. ويركبون الخيل والدواب وهم عرايا (عُراة) ولهم عبيد وجوار يخدمونهم

١) يريد منغولية وتركستان الصينيّة

وحكى لي دون اندريا انهم عدّوا على جزيرة ولم يدخلوها لانّ الناس الذين فيها يأكلون لحم البشر وهم عُراة شبه الوحوش ما لهم بيوت مبنية ولكن يسكنون في الكهوف والمغاير (والمغاور) وآلة حربهم القوس والنشاب والذي يمسكونهُ من الناس يشكّون فيهِ سيخًا ويشوونهُ على النار ويأكلونهُ. واهل هذه الجزيرة ما لهم ملك ولا امير ولا شيء يقتاتون بهِ غير الاثمار والحشائش. وحكى لي غير هذه الامور التي تشرش العقل. فتأمل ايها القارئ ايش خلق الله تعالى في الدنيا!

ودون اندريا هذا كان ساكنًا جنب قلايتي مقدار خمس سنين. وكان البابا اقليمنطوس الحادي عشر ارسلهُ مع الكردينال الى جين وماجين وتلمذوا هناك كثيرًا لكن هؤلاء كانوا يلبسون الثياب القليلة وما كانوا مفضوحين عريانين (عُراة) مثل اولئك. وعدّى على مليبار التي فيها جماعة من الكلدان والنساطرة. وبقي تسع عشرة سنة في بلاد جين وماجين ومات الكردينال وهو جاء لرومية. اما دون جورجو فقال لي: انا رحت للهند الجوّاني في البر والبحر ثمانية عشر شهرًا في الرواح وتسعة عشر شهرًا في المجيء. وسألتهُ لاي سبب ما يلبس الناس شيئًا. فقال: من كثرة الحرّ لان الشتاء عندهم احمى من الصيف وحرّهُ ما يقدّر فلاجل ذلك منذ زمن قديم يمشون عريانين. وحكى لي دون اندريا عن جزيرة في البحر يأكل اهلها الموتى. وعن جزيرة اخرى انّ اهلها اذا ماتوا حملهم اصحابهم الى الجزيرة الاولى فيشتريهم اولئك بدراهم ليأكلوهم وفي هذه الجزيرة معادن ذهب ومعادن فضة وجواهر كالياقوت والزمرد وغيرها وهؤلاء كانوا في الهند الشرقية. ولكن الاسقف سفر راح لهند الغرب (١ فحكى لي وقال: رأيت منهم عرايا. وقبل مائتي سنة ما كان احد يعرف تلك النواحي فراحوا (فراح) الاسبانية وكشفوا على تلك الارض وضبطوها تحت حكمهم وادخلوا منها الوفًا وربوات في دين المسيح وجابوا لهم ثيابًا من اسبانية ولبسوهم وجابوا لهم معلمين علّموهم الغزل والنسج والخياطة ليعملوا لهم كسوة ويستروا اجسادهم. وهذه هي التي يسمونها بشكي دنيا اي الدنيا الجديدة وهناك معادن ذهب وجواهر كثيرة

١) كنا دعوا سابقًا اميركة الجنوبيّة. وفي ترجمة الاسقف الناسيوس سفر التي نشرها في المشرق (١١: ٥٦٣—٥٧٠) حضرة القس اسحاق ارملة ذُكر سفرهُ الى الهند دون اميركا

موت السيّد ناوفيطوس نصري

وفي الاحد الثالث من الصوم في شهر شباط سنة ١٧٣١ انطلقت انا القس خدر مع مطران الروم (الكاثوليك) ناوفيطوس مطران صيدنايا ووقفنا في ساحة الكورسو (Corso) نتفرج اذ كان يجوز بالملاي (بالأبهة) بشاطور (اي سفير ambasciatore) مالطة ووقفنا على القرنيّة التي تمشي الى فونطانا (Fontana) وطريفي (Trevi) وكان خلق كثير وجت (فجاءت) الكروسة على الناس وداستهم فانا وقعت بين دواليب الحديد فاصابت رجلي فقط ولكن ما صابها ضرر كثير ولكن المطران ناوفيطوس الذي كان جنبي وقع وداستهُ الكروسة على نصف ظهره وكسرت عظامهُ وبعد خمسة ايام مات ودفنوه في كنيسة مدرسة المجمع المقدّس وبقي جسدهُ خمسة ايام بلا دفن وجسدهُ يعرق ويفوح منهُ روائح لذيذة حتى ان الناس قطعوا ثيابهُ واخذوها بركة فوضعوا له ثياباً جديدة فعرق ايضاً فيها. ثم جاء كردينال رئيس المجمع وابصرهُ. واخيرًا قالوا ان المرضى شفيت من ذخائر ثيابهِ. صلاتهُ معنا. وهذا الرجل قوي كان صديقاً معي (١

عيد مار لويس غنزاغا

وفي اليوم ٢١ من شهر حزيران كان عيد مار لويس (غنزاغا) اليسوعي الموضوع جسده في كنيسة سنت اناسيو (Santo Ignazio) اي مار اغناطيوس (٢ التي هي المدرسة الرومانيّة كليجو رومانو (Collegio Romano) وهذه المدرسة اكبر مدارس رومية (٣ فيها نحو خمسة عشر اسكولًا يدرس فيها نحو الفي ولد اسكولي. فدخلت اليها فأراني معلم اعترافي المطران جرجس (٤ القلاية التي سكن فيها مار

١) اطلب من مطبعتنا ترجمتهُ الصالحة التي كتبها كاهنُ القس اغناطيوس ونشرها حضرة الاب انطون ربّاط ونقلها الى اللغة الافرنسيّة

٢) وهي الكنيسة المسمّاة باسم يسوع (Gesù)

٣) وتعرف بالكليّة الغريغوريّة انشأها البابا غريغوريوس الثالث عشر ويدرس فيها اليوم الدروس العُليا ١٥٠٠ طالب . اما الدروس الثانويّة فأُبطلت سنة ١٨٧٠ لمّا احتلّت الجنود الايطاليّة مدينة رومية

٤) هو جرجس بنيامين الذي كان اسقفاً مارونياً فاستعفى وترهّب في الرهبانيّة اليسوعيّة

لويس (١ وقلاية اخرى تلمع فيها مزينة بالفضة والذهب والحجارة الكريمة شيءٌ يخطف ابصار الناظرين وكان فيها ذخائر وعظام القديس في حقق صغار كلها من احجار الجواهر الثمينة.

سفر القس خدر الى لوريطو لزيارة بيت العذراء

وفي سنة ١٧٣١ في ٢٤ من شهر ايلول وفيه كان الاحد السابع سابوع مار اليّا الذي عرفته « ܕܚܡ ܠܟܐ ܡܚܣܟܐ » انطلقت انا الفقير القس خدر بصحبة معلم اعترافي المطران جرجس اليسوعي وأبو ينا القس [(٢] الرئيس العام في رهبنة الموارنــة اللبنانيين والمعلم الفيلسوف اللاهوتي اصطفان (الـسماني) انطلقنا جملة الى زيارة بيت العذراء في مدينة لوريطو (Loreto) الذي يقال له سنتا كازا دا لوريطو Santa Casa di Loreto) فاستكرينا كالسين (Calessi) عربانات كل واحد بثمانية عشر قرشا اسكوت روماني فركبت انا والمطران جرجس على واحد والرئيس العام واصطفان على الكليس الآخر

فاوّل يوم طلعنا فيه من رومية تغدينا في ميخانة دي اوستريا(٣ كستيل نوڤو Os-teria di Castelnuovo) وتعشينا في جيوڤيتا كَسْتلاّنا (Giovita Castellana). ومما وجدنا في طريقنا في هذا اليوم الاول جبل فيه حبابس فاذا اراد انسان من الاغنياء والا كابر وغيرهم شرفاء ام ادنياء. ان يتعبد لله وحــده دون ان يدخل ديرًا او يلزم نفسهُ بقانون رهبنة يطلع الى هذا الجبل ويأخذ لهُ حبسة فيسكنها ويعبد الله هناك وما يتكلم مع احد بل تكون مفاوضتهُ مع ربهِ فقط. وفي هذا الجبــل حبابس كثيرة وعليها خدام يخدمون الحبساء في طعامهم وضروراتهم فيبقون هــم في عبادتهم ليوم الموت. واذا شاء بعضهم ان يعودوا الى بيوتهم جاز لهم ذلك لأن تنسكهم ليس هو قانونا رهبانيًا يلزمهم بل عبادة اختياريّة. ويوجد اليوم هناك كثير من اغنياء رومية واكابرها

---

١) قد زرنا هذه القلاية سنة ١٨٩٢ وبقربها قلايتان أخريان سكن الواحدة القديس بوحنّا بركانس. امّا الاخرى فماش فيها مدّةً وطيبُنا الكرِّم ابراهيم جرجس الحلبي المارروني اليسوعي الذي مات شهيدًا في الحبشة

٢) بياض في الاصل ٣) كلمة ايطاليّة (osteria) بمعنى النزل والخان. والميخانة مثالها

وفي اليوم الثاني من رحلتنا سرنا الى مدينة نارني (Narni) فتغدينا فيها ووصلنا المساء الى مدينة تيرني (Terni) عند اليسوعية وتعشينا ونمنا في ديرهم. وثالث يوم تغدينا في مدينة سپوليتي (Spoletti) في دير اليسوعيّة وتعشينا ونمنا في لوستريّة البوسطة التي هي الميخانة. واليوم الرابع تغدينا في لوستريّة التي على جانب النهر وتعشينا ونمنا في مدينة طولنتينو (Tolentino)

وكان وصولنا في اليوم الخامس الى ستنا كازا دا لوريطو وهو بيت العذراء وكان وصولنا في الساعة العشرين (اي بعد المغرب) وقدّسنا في بيت العذراء على مذبحها وقدّام صورتها التي صوّرها مار لوقا وكانت مزينة بالذهب والجواهر الثمينة التي ما تجي للوصف ولا يوجد في خزائن الملوك مثلها لان الملوك المسيحيين والامراء قد ارسلوا لها افخر كنوز عندهم من مصوغات الذهب والجواهر. وبيت العذراء قد بُني فوقهُ كنيسة كبيرة وهو موضوع تحت قبّة الكنيسة ليس ملصوقاً بشيءٍ فمن داخلهِ هو عتيق مسودّ مبني بالحجارة والجصّ مثل بنيان مدينة الناصرة لمّا كانت العذراء ستنا مريم ساكنة فيهِ عند مار يوسف خطيبها وهناك بشّرها ملاك الرب بمولد السيد المسيح وبهِ ربّت يسوع ثلاثين سنة. ثمّ في السنة ١٢٩١ مسيحيّة نقلتهُ الملائكة الى بلاد ايطالية (١ ووضعوهُ على مسافة مائة وخمسين ميلًا اعني خمسة ايام من رومية واوّل ليلة وضعوه هناك تراءت العذراء لاسقف تلك الديار وقالت لهُ: قد نقلت بيتي من الشرق الى الغرب ليكون تعزيةً للمسيحيين الساكنين في بلاد الغرب و يكتسبوا غفراناً بزيارتهم لهُ كما يزار قبر ابني في القدس في بلاد الشرق. ولاجل التصديق غداً تقدّر البيت وتقيسهُ وتذرع طولهُ وعرضهُ وعلوّهُ وترسل القياس الى مدينة الناصرة. فالاسقف فعل فطلع تماماً لا ازيد ولا انقص

ثم بعد ما قدّسنا طلعنا من الكنيسة ودخلنا دير اليسوعيين فبتنا عندهم ثلاثة ايّام. واليوم السادس قدّسنا في كنيسة العذراء لكن خارج بيتها. وفي اليوم السابع قدّست في بيت العذراء داخلًا قدّام صورتها ولكن اشترطوا عليّ ان اقدّم القدّاس لاجل سلطان فرنسة واذكر فقط اهلي واصدقائي. وبعد الظهر خرجنا من مدينة لوريطو وتعشّينا ثم نمنا في مجاراتا (Macerata) عند اليسوعيّة فادخلنا رئيس ذلك

١) اطلب مروج الاخبار (ص ٧٧١)

الدير الى كنيستهم وأرانا ذخائر القديسين موضوعة في بأور في آنية من ذهب وجواهر ثمينة · وكانت نحو مائتي ذخيرة من جملتها قطعة من الصليب الحي قبلتهُ بفمي وشوكةً من اكليل الشوك الذي وضعهُ اليهود على رأس المسيح وأبصرتُ تلك الشوكة نصفها احمر مصبوغة بدم المسيح ثم سنّ مار بطرس وذخيرة من مار بولس ومن الاثني عشر رسولًا والانجيليين ومن القديسين الكبار كمار اثناسيوس ومار باسيليوس ومار اقرام ومار غريغوريوس وفم الذهب وغيرهم من اكابر القديسين في الشرق · وكذلك من القديسين الغربيين كامبروسيوس واغسطينوس وفرنسيس ودومنيكوس وبرنردس وغيرهم كثيرين · وبجنب المذبح كان مدفن بابا [(١] ولهُ ازود من مائتي سنة بما يلي وابصرتُ جسدهُ ممدودًا ووجههُ ويديهِ ورجليهِ وهو لابس لبس الحبرية

ومن يوم انطلقنا الى ضيعة الوادي (Valle) وقدّسنا فيها وتغدّينا في لوسترِي ثمّ قنا فسرنا الى قرية سرازو (كذا) وتعشينا ونمنا في اللوسترِيَة · واليوم التاسع وصلنا الى مدينة فوليغو (Foligno) وقدّسنا هناك وتغدّينا في لوسترِيَة هيراقيلو · ثمّ مررنا عائدين الى سبوليتي وتارني · وفي مساء اليوم العاشر سرنا الى مدينة اوتريكي وبتنا في الاسترِيَة · وفي اليوم الحادي وصلنا الى قرية كستلرورو ووصلنا المساء الى رومية فكان مجمل سفرنا احد عشر نهارًا وعشر ليالي · فنحمد الله على هذه الزيارة المباركة ونشكر فضل العذراء مريم الكليّة الطهارة التي اهّلتنا لان نزور بيتها الشريف الذي رُبّيَ فيهِ يسوع ثلثين سنة

وهذا البيت يشبه بيوت الفقراء لكنّهُ غني بالنعم وتأتيهِ النذور من الملوك والسلاطين والامراء والكردينالية والپرنجيبية (principi) والاكابر من الذهب والفضّة والجواهر الثمينة اعني اللؤلؤ والمرجان والزمرد والياقوت والالماس شيء ما يسعهُ العقل ولا يملكهُ سلطان واحد من سلاطين العالم وهذه النذور هي صلبان وكاسات وفيلاسات (اي آنية) وتيجان ملوك مرصّعة بالجواهر وشمعدانات من جواهر وغير اشياء ما نعرف اسماءها ومن جملتها جوهرة على قدر البيضة تضيء في الليل مثل الكوكب واشياء أخرى تحيّر العقل · واشتريتُ كتابًا ايطاليانيًا عدّدوا فيهِ اسماء جواهر المعبد وقدّام صورة العذراء كان عشرون قنديلًا من ذهب وفي بيت العذراء حيث يقف

١) بياض في الاصل ولا نعلم اي بابا يريد

الناس ليسمعوا القداس مئة قنديل فضّة. وفي هذا البيت وجدتُ صحناً من فخّار كان يسوع يأكل فيه طبيخاً مع امّهِ مريم العذراء فكفّدوهُ (اي صحّوه) خارجاً بالفضة فقبّلتهُ ووضعتهُ على رأسي وكانت رائحتهُ مثل رائحة الفردوس معبّقة ولذيذة في الغاية ووضعتُ فيه مسبحتي

وبيت العذراء طولهُ مقدار ثمانية اذرع ولهُ اربعة ابواب فمن الباب الواحد يدخل الزوّار ثم يخرجون من الباب الاخر. والباب الثالث يدخلون منهُ ليزوروا صورة العذراء التي خلف الثرونوس فيتباركون بتقبيل الصحن الذي اكل فيه يسوع ويباركون مسابحهم بوضعها فيه. وهناك ايضاً ثوب صوف من لبس العذراء ولبس يسوع ابنها ولبس مار يوسف خطيبها. وهذه الثياب في ثلثة صناديق صغار من البلور وحتى الآن تلك الثياب لم يدخل فيها العثّ. وهناك ايضاً غير اشياء من حوائج العذراء التي كانت في بيتها يتبارك بها الزوّار ثم يخرجون من الباب الرابع

وكنيسة لوريطو على قدر كنيسة قبر المسيح في القدس لكنها في الغنى والمال والجوهر والبناء والتزاويق هي افخر منها. ويقال عن ستنا مريم العذراء انها كانت سمراء وانّ ابنها يسوع كان اشقر وكان وجه البتول ذا هيبة عظيمة مملوءًا من الحشمة والوقار وكل من كان ينظر اليها كان يمتلئ من الورع والعفة والهيبة ويمتلئ جسدهُ من الطهارة بنظرهِ لوجهها فقط

وفي السنة ١٧٣١ مات البادري كلوسي (Galluzzi) اليسوعي (١ في شهر ايلول وهذا الرجل كان كاهناً معلّماً وكاروزاً قديساً. ولمأ مات بقي ثلاثة ايام بلا دفن تفوح من جسدهِ روائح العنبر والمسك واعضاؤهُ تتلوّى وهو يعرق دائماً كأنهُ نائم غير ميت. وكان في بعض الاوقات يفتح عيونهُ فلمّا نقلوه الى كنيسة مار اغناطيوس أتت الناس لتتبارك بتقبيل رجليه. وكان البعض يقطعون ثيابهُ ويأخذونها للبركة وتزاحم حولهُ

(١) هو الاب فرنسيس ماري كالوزي المتوفى في ٧ ايلول سنة ١٧٣١ كان من أسرة شريفة من مدينة فيرنسة ولد سنة ١٦٧١ ودخل في الرهبانية سنة ١٦٨٨ فقضى فيها ٤٠ سنة ممارساً لاسمى الفضائل. وقد أنشأ كثيراً من المآوي والمستشفيات والمشروعات الخيرية للفقراء وارشد الى الاعمال الصالحة عدداً لا يُحصى من اهل رومية وغيرها. مات ميتة الابرار فائق عليهِ الحبر الاعظم اقليمس الثاني عشر وكلُّ مشاهير عصره. ولهُ تصانيف عديدة في كل المواد الدينية تراهق الاربعين تأليفاً

الناس حتى كادوا يقتلون بعضهم بعضاً من الزحمة للتبرك من جسده حتى احتاجوا الى ان يجيبوا اجناداً من السولدات (soldati) وفي ايديهم الحربات ليكفّوا عنهُ الناس وما استطاعوا. وحاصل الامر كل مدينة رومية رجالها ونساءها بنيها وبناتها قسوسها وشمامستها رهبانها وعلماءها مطارنتها وكرديناليتها اتوا قاطبة وتباركوا منهُ والاجناد يُدخلون الناس بالدور اليه فبعضهم ينثرون على جسده الازهار وبعضهم يبوسون يديه ويأخذون الازهار التي عليه بدلًا من ثيابهِ. واما الحقير القسّ خدر بالعسف قدرت ان ادخل بين العساكر فوصلت اليه بعد ان كدت أُقتل من شدَّة الزحمة. وبست يديهِ. صلاتهُ تكون معنا. وفي حياتهِ ايضاً بست يديهِ لكن بالحيلة. ويقولون انهُ قد احيا ميتاً في حياتهِ وشفى مجرداً (ابرص) مقرّحاً بالدمامل فمسك الاب كلوسي اصبعهُ المملوءة مدَّة وقيحاً ومصّها فشفي الرجل. وقد كتب اليسوعية حياتهُ بعد موتهِ فان كان الله يظهر عجائب خارقة على جسده فيقدّسهُ (يثبت قداستهُ) البابا ويجعلهُ في مدرج القديسين بعد مائة سنة اقلّ ام اكثر

وفي سنة ١٧٣٤ يوم الجمعة ١٦ تموز مات هنديّ . . .

(حاشية) هنا ينتهي المخطوط الذي نقلنا عنهُ ولعلّ احدًا من كلدان الموصل او في مكتبتها البطريركيَّة يجد نسخة ثانية فيها تتمَّة هذه الرواية التي جمع فيها الكاتب كثيرًا من الفوائد التاريخيَّة والاوصاف الدقيقة التي تجعل هذا الاثر من انفس الآثار الشرقيَّة

كتاب الهَمْز

عن ابي زيد سعيد بن اوس الأنصاري

نشرهُ الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

﴿ وتقول في باب من الهمز ﴾ خَفَأْتُ الرَّجُلَ خَفْئًا اذا صَرَعْتَهُ [صَرَعْتَهُ] ، وتقول : خَلَأَتِ [النَّاقَةُ] خَلْئًا وخِلَاءً اذا حَرَنَتْ وَصَعُبَتْ . قالَ زُهَيْرٌ :

بِآرِزَةِ الفَقَارِ وَلَمْ يَخُنْهَا قِطَافٌ فِي الرِّكَابِ وَلَا خِلَاءُ

وتقول: خَبَأْتُ الشيءَ خَبْأً، وَخَسَأْتُ الكَلْبَ خَسْأً وَخَسَأَ بَصَرُهُ خَسْأً وخُسُوءًا اذا سَدِرَ، وتقول: اَخْتَبَأْتُ من الرَّجُلِ اَخْتِبَاءً اذا اَخْتَبَأْتَ منهُ، وتقول: خَرِئَ الرَّجُلُ خِرَاءً وَخَرْءًا وَجِماعُهُ الخُرْآنُ والخُرُوءَة، وتقول: خَذِئْتُ لِلرَّجُلِ خَذْءًا اذا اَسْتَخْذَأْتَ لهُ، وتقول: خَطِئْتُ مِنَ الخَطِيئَةِ أَخْطَأُ خَطَأً وَأَخْطَأْتُ (19r) إِخْطَاءً وَالاَسْمُ الخَطَأُ، وتقول: خَجَأْتُ المَرْأَةَ خَجْأً اذا نَكَحْتَها

﴿ وتقول في باب من الهمز ﴾ حَلَأْتُ الأَدِيمَ أَحْلَأُ حَلأً [حَلأً] اذا أخرجتَ تَحْلِئَهُ وَالتَّحْلِئُ القِشْرُ الَّذِي فِيهِ الشَّعَرُ فَوقَ الجِلْدِ. وتقول: حَلَأْتُهُ بِالسَّوْطِ حَلأً اذا جَلَدْتَهُ وَحَلَأْتُهُ بِالسَّيْفِ حَلأً اذا ضَرَبْتَهُ. وتقول: حَلَأْتُ الإبِلَ عَنِ المَاءِ تَحْلِئَةً وَتَحْلِيئًا اذا حَبَسْتَها عنهُ قَالَ الرَّاجِزُ:

لَطالَمَا حَلَّأْتُماها لم تَرِدْ فَخَلِّيَاهَا والسِّجَالَ تَبْتَرِدْ
أَشْتَفي بِبَرْدِ المَاءِ ما كانَتْ تَجِدْ مِنْ حَرِّ أَيّامٍ ومِنْ لَيْلٍ وَمِدْ

وتقول: أَحْلَأْتُ للرَّجُلِ إِحْلَاءً اذا حَكَكْتَ لهُ حُكَاكَةَ حَجَرَيْنِ فَدَاوَى بِحُكَاكَتِهِمَا عَيْنَيْهِ اذا رَمِدَتَا، وتقول: حَطَأْتُ الرَّجُلَ حَطْأً اذا صَرَعْتَهُ، وتقول: حَنَأْتُ رَأْسَهُ بِالحِنَّاءِ وَتَحْنِيئًا اذا خَضَبْتَهُ بها، وتقول: حَشَأْتُ الرَّجُلَ بالسَّهْمِ (19v) حَشْأً اذا أَصَبْتَ جَنْبَهُ وَبَطْنَهُ. وَحَشَأْتُ المَرْأَةَ حَشْأً اذا نَكَحْتَها. وحَشَأْتُ بَطْنَهُ بالعَصَا حَشْأً اذا ضَرَبْتَ بها بَطْنَهُ، وتقول: أَحْكَأْتُ العُقْدَةَ إِحْكَاءً اذا شَدَدْتَ عَقْدَهَا، وتقول: حَزَأْتُ الإِبِلَ حَزْءًا اذا جَمَعْتَها وَسُقْتَها، وتقول: حَمِئَتِ الرَّكِيَّةُ حَمْأً [اذا خَالَطَهَا الحَمْأَةُ] والحَمْأَةُ الاَسْمُ وَأَحْمَأْتُها إِحْمَاءً

اذا جعلتها حمئة ، وتقول : حَضَأْتُ النَّارَ حَضْئًا اذا أوقدتها ، وتقول : حَصَأَ الصَّبِيُّ من اللَّبَنِ حَصْئًا [حَصْئًا] اذا ارتضع حتى تَمْتَلِئَ إِنْفَحَتُهُ اذا كان جَدْيًا وإن كان صَبِيًّا فَبَطْنُهُ . والإِنْفَحَةُ كَرِشُ الجَدْيِ ما لم يأكُلْ فإذا أكل فهو كَرِشٌ ، وتقول : حَدِئْتُ بالمكانِ حَدَأً [حَدَءًا] وذلك اذا لَزِقْتَ بِهِ . وتقول : حَدِئْتُ إليهِ حَدَأً اذا لَجَأْتَ اليهِ وحَدِئْتُ إليهِ حَدَأً [حَدَءًا] وذلك اذا حَدِبْتَ [حَدِبْتَ] عليهِ ونَصَرْتَهُ ومنعتهُ ، وتقول : إِحْبَنْطَأْتُ إِحْبِنْطَاءً اذا انتفخ جَوْفُكَ

﴿ وتقول في بابٍ من الهمز ﴾ ضَبَأْتُ في الأَرْضِ ضَبْئًا وضُبُوءًا اذا اختبأت ، وتقول: (20ᵃ) أضاءتِ النَّارُ إضاءةً ، وتقول : ضَؤُلَ رأيُهُ ضآلةً [ضَآلَةً] اذا قَلَّ . وضَؤُلَ الرَّجُلُ ضآلةً اذا صَغُرَ ، وتقول : ضُئِدَ الرَّجلُ ضُؤَادًا وهُوَ الزُّكامُ ، وتقول: أَضْأَكَ (النبتُ) اضئكاكًا اذا رَوِيَ واخضرَّ ، وتقول: ضَنَأَتْ [ضَنَأَتِ] المرأةُ ضَنْئًا [ضَنْئًا] وضُنُوءًا اذا وَلَدَتْ

﴿ وتقول في باب من الهمز ﴾ طَأْطَأْتُ رأْيِي طَأْطَأَةً ، وتقول : طَسِئْتُ طَسًأ اذا اتَّخَمْتَ عَنْ دَسَمٍ ، وتقول : طَفِئَتِ النَّارُ طُفُوءًا ، وتقول: طَرَأْتُ عَلَى القَوْمِ طُرُوءًا اذا أتيتهم من غيرِ أنْ يعلموا بك ، واطْلَنْفَأْتُ اطْلِنْفَاءً اذا لَزِقْتَ بالأرض ، وتقول: لأطَ الرَّجلَ لأطًا [لأْطًا] اذا أمَرَهُ بأمرٍ فألحَّ عليهِ أو تقاضاهُ الدينَ فألحَّ عليهِ . وتقول: لَأَطْتُ الرَّجُلَ لَأْطًا اذا أتبعتهُ بصرَكَ حتى يَتَوارَى عنكَ ، وتقول: أَوْطَأْتُ في الشِّعرِ إيطاءً اذا أعدتَ قوافِيَهُ ، وتقول : أَطَرْتُ [أَطَرْتُ] القوسَ اطرا [أطْرًا] اذا حنيتها (ويقال حَنَى يَحْنِي وحَنَا يَحْنُو) وأَطَرْتُ

السَّهمَ أطرًا (20ʳ) اذا لَفَفْتَ على مَجْمَعِ الفُوقِ عَقَبَةً وَاسمُها الأُطرَةُ.
وتقول: تأَطَّرَتِ المرأةُ تأَطُّرًا اذا أقامَتْ في بيتها قال الشاعر:

تأَطَّرْنَ حتَّى قلتُ لَسْنَ بَوارِحًا وَذِبْنَ كما ذابَ السَّدِيفُ المُرَهَّبُ

وتقول وَاطَأْتُهُ عَلَى الأَمرِ مُواطَأَةً اذا وَافَقْتُهُ عَلَيْهِ، وتقول: فَطَأَ الرَّجلُ المرأةَ يَفطَأُها فَطْأً. وَرَطَأَها يَرْطَأُها رَطْأً. وَشَطَأَها يَشطَأُها شَطْأً اذا نكحها

﴿ وتقول في باب من الهمز ﴾ ظَمِئْتُ ظَمأً [ظَمَأً] اذا عطشتَ، وتقول: ظَاءَرْتُ مُظاءَرَةً اذا أخذتَ ظِئْرًا وَظَأَرْتُ النَّاقَةَ ظَأْرًا وهي ناقَةٌ مَظْؤُورَةٌ اذا عطفتَها على غيرِ وَلَدِها، وتقول: هَذا ظَأْمُ الرَّجلِ وَظَأْبُهُ وهما واحد. وهما اللَّذان يتزوَّجان الأُختين كلُّ واحدٍ واحدةً وقد ظَاءَمَني وظَاءَبَني اذا تزوَّجتَ أنتَ امرأةً وهو أُختَها، وتقول: دَأَظْتُ الوِعَاءَ دَأْظًا. قال الراجز (21ʳ)

لَقَدْ فَدَى أعناقَهُنَّ المَحْضُ والدَّأْظُ حتَّى لا يكونَ غَرْضُ [عَرْضُ]

الدَّأْظُ الامتلاءُ والعرضُ موضع ما تركتَهُ فلم تجعل فيه شيئًا.
وقوله، فَدَى أعناقَهُنَّ المَحْضُ» يقول فَداهُنَّ من البيعِ والنَّحرِ المحضُ استغنوا به عن ذلك

﴿ وتقول في باب من الهمز ﴾ عَبَأْتُ الطِّيبَ عَبْأً [عَبْئًا] اذا صَنَعْتَهُ وَخَلَطْتَهُ، وتقول: ما عَبَأْتُ بِفلانٍ عَبْأً اذا لم تَصنع به شيئًا وَعَبَأْتُ المتاعَ اذا هَيَّأْتَهُ وعَبَّأْتُهُ تَعْبِئَةً كلٌّ من كلام العرب. وَعَبَّأْتُ الخيلَ تَعْبِئَةً وَتَعْبِيئًا. وتقول: هو عِبْءٌ وجماعه الأَعْباءُ وهو الحِمْلُ والأَحمالُ قال الشاعر:

الحامِلِ العِبءَ الثَّقِيلَ عن م الجاني بِغَيرِ يَدٍ ولا شُكْرِ

﴿ وتقول في باب من الهَمز ﴾ فَأَوتُ رَأْسَهُ فَأْوًا. وفَأَيتُهُ فَأْيًا بالسَّيفِ، وتقول: فَثَأْتُ الماءَ فَثْأً اذا سَخَّنْتَهُ وكذلك كُلَّ ما سَخَّنْتَهُ وفَثَأْتُهُ عَنّي فَثْأً [فَثْأً] اذا كَسَرْتَهُ عنك بقَولٍ أو غيرِهِ، وتقول: فَجَأْتُهُ فَجْأً [فَجْأً] وفَجِئْتُهُ [فَجِئْتُهُ] فُجاءَةً اذا لَقِيتَهُ. وهو لا يَشعُرُ بكَ ولا تَشعُرُ بِهِ (21ʳ)، وتقول: فَطَأْتُ الرَّجلَ أَفطَأُهُ فَطْأً [فَطْأً] اذا ضَرَبتَهُ بالعَصا او ضَرَبتَهُ بِرِجلِكَ، وتقول: فَأَفَأَ الرَّجلُ فَأْفَأَةً وهو رَجلٌ فَأْفاءٌ (ممدود) وهو الثَّقِيلُ اللِّسانِ، وتقول: فَسَأْتُهُ بالعَصا فَسْأً [فَسْأً] اذا ضَرَبتَ بها ظَهرَهُ. وتقول: تَفَسَّأَ الثَّوبُ تَفَسُّؤًا اذا تَشَقَّقَ، وتقول: فِئْتُ الى الأمرِ فَيْئًا [فَيْئًا] اذا رَجعتَ اليهِ وفاءَ الظِّلُّ فَيْئًا مِثلَها. وتقول: أَفَأْتُ عليهم فَيْئًا [إفاءَةً] اذا أَدَرْتَ لهم فَيْئًا [فَيْئًا] أُخِذَ مِنهُم أو أَخَذتَ لهم سَلَبَ قَومٍ آخرينَ فجِئتَهُم بِهِ. وقال اللهُ عَزَّ وجَلَّ ما أَفاءَ اللهُ على رَسُولِهِ، وتقول: فَقَأْتُ عَينَهُ فَقْأً [فَقْأَةً] وتَفَقَّأَتِ البُهمَى اليهم تَفَقُّؤًا وفَقَأَتْ فَقْأً [فَقْأً] اذا تَشَقَّقَتْ لَفائِفُها عن ثَمَرِها، وتقول: أَفتَأَ الرَّجلُ على أَفتَائًا. إذا قالَ عَلَيكَ الباطلَ. وتقول: ما فَتَأْتُ أَذكُرُهُ فَتْأً [فَتْأً] اذا كُنتَ ما تَزالُ تَذكُرُهُ. كَقَولِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ: تَفتَأُ تَذكُرُ يُوسُفَ، وتقول: فَأَدتُ الصَّيدَ فَأْدًا. اذا أَصَبتَ فُؤادَهُ. وتقول: فَأَدتُ الخُبزَةَ (الخُبزَةَ) في المَلَّةِ اذا خَبَزتَها فيها. والمِفْأَدُ الحَدِيدَةُ التي يُختَبَزُ بها والمُشوى، ويقال قَد تَفَشَّأَ [تَفَشَّأَ] بالقومِ المَرَضُ تَفَشُّؤًا (22ʳ) اذا انتَشَرَ فِيهِم. قال الشاعرُ:

وَأَمرٍ عَظِيمِ ٱلشَّانِ يُرْهَبُ هَوْلُهُ ... وَيَعْيَا بِهِ مَن كانَ يُحسَبُ رَاقِيَا
تَنَشَّأَ إِخْوَانَ ٱلثِّقَاتِ فَعَمَّهُم ... فَأَسْكَتَ عَنِّي المُعْوِلاتِ البَوَاكِيَا

﴿ وتقول في بابٍ من الهمز ﴾ قَنَأَتْ أَطْرَافُ المرأةِ مِن الحِنَّاءِ قُنُوءًا اذا أحمرَّتْ شديدًا ، وتقول : قَمَأَتِ المَاشِيَةُ قُمُوءًا وقَمُؤَتْ قَمَاءَةً اذا سَمِنَتْ . وقَمُؤَ الرَّجُلُ قِمَاءَةً اذا صَغُرَ ، وتقول : قَرَأْتُ الكِتَابَ قِرَاءَةً ، وتقول : قَفِئَتِ الأرضُ قَفْأَةً اذا مُطِرَتْ وفيها نَبْتٌ فَحَمَلَ المَطَرُ على النَّبْتِ الغُبَارَ فلا تأكُلُ المَاشِيَةُ حتى يَجلُوهُ [يَجْلُوَهُ] النَّدَى أو يَهتزَّ فيسقُطَ ما عليه ، وتقول : قَضِئَتِ القِرْبَةُ فهي تَقضَأُ قَضَأً [قَضْأً] وهي قِرْبَةٌ قَضِئَةٌ (قَضِئَةٌ) على وزن فَعِلَة وهي الَّتي قد عَفِنَتْ وتهافَتَتْ والثَّوبُ يَقضَأُ مِن طولِ النَّدَى والطَّيِّ قَضَأً . ويقال قَضِئَ حِسَابُ فُلانٍ (22٬) قَضَأً [قَضْأً] وقُضُوءًا وقَضْأَةً [وقَضَاءَةً] وذلك اذا دَخَلَهُ عَيبٌ ولم يكن صحيحًا وانَّ في حَسَبِ فُلانٍ لَقَضْأَةً أي لَعَيبًا وهو الوصمُ أيضًا . وتقول : قد قَاءَ الرَّجُلُ يَقِيءُ قَيْئًا ، وتقول : أَقْثَأَتِ الأرضُ فهي مُقْثِئَةٌ اذا كانَتْ كثيرةَ القِثَّاءِ وهذهِ أرضٌ مَقْثَأَةٌ وتقول : قَئِبْتُ مِنَ الشَّرَابِ أَقْأَبُ قَأَبًا [قَأْبًا] أي شَرِبْتُ مِنْهُ قال ابو زَيد : لَيسَ في الأرضِ قَيسِيٌّ الا يَقُولُ القُثَّاءَ بِرَفعِ القاف

﴿ وتقول في بابٍ آخر من الهَمْزِ ﴾ لَبَأْتُ اللِّبَأَ أَلْبَأُهُ اذا حَلَبْتَ الشَّاةَ لَبَأً وَلَبَأْتُ القَوْمَ أَلْبَأُهم لَبأً [لَبْأً] اذا صَنَعْتَ لهم لِبَأً وأَلْبَأْتُ الجَدْيَ إِلْبَاءً اذا شَدَدْتَهُ إلى رَأسِ الخِلْفِ لِيَرْضَعَ اللِّبَأَ وَٱسْتَلْبَأَ الجَدْيُ إِذَا رَضِعَ هُوَ من تِلقَاءِ نَفْسِهِ ، وتقول : لَفَأْتُ اللَّحْمَ عَنِ العَظْمِ . واللَّفِيئَةُ البَضْعَةُ الَّتي لا عَظْمَ فيها نَحوُ النَّحْضَةِ والهَبْرَةِ

وَالوَذَرَةِ لا تُقالُ إِلَّا بَضْعَةٌ بالفَتْحِ مِثْل القَصْعَةِ ويقول (23r) لَطَأَ الرَّجُلُ بالأَرْضِ لَطْئًا إِذَا لَزِقَ بِهَا ، وتقول : لَوْمَ الرَّجُلِ يَلْئِمُ (يَلُومُ) لَوْمًا ولمئة [وَمَلَامَةً] مِثْلُ مَلَمَةٍ . وتقول : أَلْأَمَ (أَلْأَمَ) الرَّجُلُ إِلْأَمًا [إِلْآمًا] اذا صَنَعَ مـا يَدْعُوهُ النَّاسُ عليه لَئِيمًا وهذا رجلٌ مِلْآمٌ وهو الذي يَعْذِرُ اللِّئَامَ

﴿ وتقول في باب آخر من الهمز ﴾ قَدْ مَـأَ الرَّجُـلُ اذا مَجَنَ وَمَرَنَ والمَـايِئُ الْمَاجِنُ . وتقول : مَأَسْتُ بَيْنَ القَوْمِ أَمْأَسُ مَأْسًا [مَأْسًا] اذا أَفْسَدْتَ بَيْنَهم ، وتقول : سَلَأْتُ النَّخْلَةَ والعَسِيبَ سَلْأً [سَلْأً] اذا نَزَعْتَ شَوْكَهَا وهو السَّلَاءُ وواحدتها سُلَّاءَةٌ وَسُلَّاءٌ ، وتقول : مَنَأْتُ المَنِيئَةَ مَنْأً [مَنْأً] اذا جَعَلْتَ الجِلْدَ في الدِّبَاغِ والجِلْدُ مَنِيئَةٌ [مَنِيئَةٌ] ما لم يَخْرُجْ من الدِّبَاغِ فاذا خَرَجَ من الدِّبَاغِ فهو أَفِيقٌ وأَدِيمٌ ، وتقول : مَأَرْتُ بَيْنَ القَوْمِ وَمَاءَرْتُ بَيْنَهم مُمَاءَرَةً اذا عَادَيْتَ بَيْنَهم وَالاسمُ المِئْرَةُ ، وتقول : أَمْأَتْ غَنَمُ فُلَانٍ إِمْآءً اذا صارَتْ مائَةً وَأَمْأَيْتُهَا لَكَ اذا جَعَلْتَها له مائَةً ، وتقول : مَأَنْتُ الرَّجُلَ أَمْأَنُهُ مَأْنًا اذا أَصَبْتَ مَأْنَتَهُ وهي (23v) ما بين سُرَّتِهِ وعَانَتِهِ وَشُرْسُوفِهِ ، وتقول : مَأَوْتُ السِّقَاءَ مَأْوًا وَمَأَيْتُهُ مَأْيًا اذا وَسَّعْتَهُ فَجَمَأْتُـهُ وَاسِعًا وكذلك الوِعَاءُ ، وتقول : قد تَمَأَّى السِّقَاءُ تَمَئِّيًا اذا مَدَدْتَهُ فَاتَّسَعَ وتقول : مَرُؤَ الرَّجُـلُ مُرُوءَةً ، وتقول مَلُؤَ الرَّجُلُ مَلَاءَةً وَمَلَأْتُ الحُبَّ أَمْلَؤُهُ مَلْأً والإِنَاءَ وَالجَرَّةَ ، وتقول : مَالَأْتُهُ عَلَى الأمرِ مُمَالَأَةً اذا سَاعَدْتَهُ عليه وتَابَعْتَهُ ، وتقول : مَا كانَ الطَّعَامُ مَرِيئًا ولقـد مَرُؤَ مَرَاءَةً وَأَمْرَأَنِي إِمْرَاءً وهو طَعَامٌ مُمْرِئٌ

(التتمة لعدد آخر)

السرّ المَصون في شيعة الفَرْمسون

درس تاريخي اثري للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٧ الجهاد ضدّ الماسونيّة

فاتحة

كتبنا فصولنا السابقة في تعريف الطائفة الماسونيّة وتآلُفها واسرارها وآدابها لا عن بُغض ولا من هوًى وكرّرنا غير مرة أننا مستعدُّون اذا ما اوقفنا احد انصار الشيعة على خطإٍ فرط منّا بان نُعلن بغلطنا ونستميح عذرًا ممَّن ثلمنا عرضهم على غير حقّ . فما بلغنا الى اليوم من احتجاج الماسون غير وُرَيقات مخطوطة مطبوعة في مطبعة حيّ بن ليّ أُغفل فيها اسماء كاتبيها كأنهم خجلوا ممّا سطَّرته ايديهم من الشتم في حقّنا . وما كنّا لنبالي بهذه المثالب لو وجدنا فيها ما يستحق الذكر من تقويم لِعوَج او تصحيح لغلط فكنّا نعود بالخيبة . وغاية ما كنّا نقرأهُ في تلك الكتابات انّ الماسونيّة شريفة المبادئ عظيمة الشأن كثيرة الحسنات ومدائح أخرى لا سندَ لها غير مزاعم قائليها ما كنّا لنسلّم بها دون دليل ولا برهان

ومن لم يستحي من التصريح باسمهِ الكريم جناب الافنديين نعوم شقير في المقتطف (سنة ١٩١٠ ص ١٥٧) وبشير رمضان في مجلّة الكوثر (ص ١٦٧ — ١٧٤) وليست براهين الكاتبين المذكورين اقوى حجّة من الاخوة .·. المستترين فلَيت شعري بعد نحو مائتي شاهد نقلناها عن مصادر رسميّة وتآليف ماسون مشهورين في الشيعة مع ذكرنا اصفحات كتبهم العربية والفرنجيّة أفما كان يجدر بالماسون ان ينزلوا في ميدان البحث فامّا ينكرون تلك النصوص العديدة وامّا يثبتون انّ الماسون براء منها او يؤوّلونها على غير وجوهها الظاهرة او يبيّنون تحريفنا لبعض معانيها . الّا أنهم لم يفعلوا حتى الآن شيئًا من ذلك . وخلاصة ما جاء في مقالتي نعوم افندي شقير وبشير افندي رمضان انّ الماسونيّة ليست كما صوّرناها بل هي جليلة المبدأ جليلة الغايات فيها الاعضاء الفضلاء وكبار الرجال تأسّست لخدمة الانسانيّة ولا غاية لها سواها . واتّهمنا جناب بشير افندي بأننا قلنا في الماسونيّة « ما نريد لا ما يُراد » فان زعم الكاتب بهذا القول انّ روايتنا لاقوال الماسون كاذبة او محرَّفة فهي تهمة فظيعة يقضي عليه الشرف بان يثبتها بالبيّنات

وان اراد أننا لم نرو ما يريده الماسون وكشفنا ما يحاولون اخفاءه لخداع الناس فهذا ما نقرّ به وكل مقالاتنا السابقة تشهد على أننا لم نخطئ الغرض

هذا ولا نزال نكرّر ما قلناه سابقاً انّ الماسونية تختلف اختلافاً كبيراً على حسب البلاد التي يرسخ فيها قدمها فهي « كالي براقش في كل لون تكون » فانّ الماسونيّة في الدول اللاتينية كفرنسة وايطالية واسبانية عريقة في الكفر تجاهر به ولا تستخفي · اما البلاد السكسونيّة والاقطار البروتستانية كانكلترة والمانية والولايات المتحدة فانها احرص على اصول الدين والآداب الاجتماعية وقس عليه كل بلد حيث تخاف الماسونية الفشل والخذلان بمحاكة الدين · على انّ مبادئ الماسونية عموماً مرجعها في آخر الامر الى دكّ صروح كل مذهب ونقض كل نظام

وبينا نحن نكتب هذه الاسطر اتانا شاهد جديد على انّ الماسون الدّ اعداء الدين والسلطة نريد ما انبأت به اخبار البورتغال فانّ هذا الانقلاب السياسي قد تمّ خصوصاً بدسائس الشيع السرّية بعد قتلها قبل سنتين لملك دولتها ولوليّ عهده وما كادت تستولي اليوم على الامر حتى جاهرت ببغضها للدين فدخل ذووها الى الكنائس وانتهكوا حرمة المعابد وحطّموا الصور والآنية المقدّسة واهانوا ارباب الدين فجرحوا وقتلوا ونفوا كل الرهبان اليسوعيين من مواطنهم وطردوا الرهبان والراهبات وليس لكل هؤلاء من ذنب سوى تعليمهم للجهال ونشرهم للعلوم وتفانيهم في سبيل اليتامى واللقطاء والعجزة ومرضى المستشفيات واعالة الفقراء · فهذه حرّية الماسون وهذه مساواتهم وهذا اخاؤهم! فما قول بشير افندي رمضان وما قول نعوم افندي شقير؟ فلينصف المنصفون!

وها نحن تأييداً لاقوالنا السابقة نباشر بقسم رابع ندعوهُ بالجهاد ضدّ الماسونيّة نبيّن فيه انّ اهل الدين وارباب الامر في كل اين وآن مذ تألفت الشيعة الماسونيّة اعني منذ اواخر القرن السابع عشر (ونسبتها الى سليمان من خرافات العجائز) ومنذ ظهورها للعيان بعد الخفاء وجّهوا اليها الملام ورذل الاحبار الرومانيون اعمالها السرّية وحظروا على المؤمنين الانتظام في سلكها تحت عاقبة الحرم والقطع عن جسم الكنيسة · ثمّ نأتي باقوال الرؤساء الشرقيين والدول ومشاهير الرجال في حقيقة امرها ونذكر خصوصاً شواهد الذين اصطبغوا مدّةً بصبغتها وهداهم الله بعد معرفتها الى سواء السبيل فكشفوا عن آثامها الاستار · والله الموفّق الى الصواب

١ مناهضة الاحبار الرومانيين للماسونية

قد اقام الله رؤساء كنيسته كرعاة يسهرون على قطيع المؤمنين فيرشدونهم الى المناجع الطيبة ويعدلون بهم عن المراعي الوخيمة ومهاوي الضلال فان اهملوا الامر وتغافلوا في اتمام واجباتهم قويت ابواب الجحيم على البيعة وبطلت مواعيد السيد المسيح التي يزول السماء والارض وحرف منها لا يزول

(اقليميس الثاني عشر) بقيت الشيعة الماسونية بعد انشائها محجوبة في ظلمات الاجتماعات السرّية لم تَقوَ على العمل الّا بعد خروجها من مهدها الاول في انكلترة وانتشارها في فرنسة والمانية وهولندة وبلجكة فانبعث رُيحها الخبيث فرأى الحبر الروماني انه من الواجب اللازب ايقافها عند حدودها ففي ٢٧ نيسان سنة ١٧٣٨ ابرز اقليميس الثاني عشر براءته التي بدؤها (In eminenti) اوضح فيها ما بلغ الكرسي الرسولي من اعمال الجمعيات السرّية ومكايدها الجبيثة والاخطار التي تتهدد بها الألفة الاجتماعيّة عموماً والمؤمنين خصوصاً الى ان قال ما تعريبه :

« انّ الانباء العمومية قد افادتنا انّهُ تألفت بعض الجمعيات السرّية تحت اسم فرمسون او بنّائين احرار واسماء اخرى شبيهة بهذا تختلف على اختلاف اللغات وانّ هذه الجمعيات تزيد كل يوم انتشارًا وعُدْوى ومن خواصها انّها تضمّ اليها رجالًا من كل الاديان والشيع يتظاهرون خارجاً بالآداب الطبيعية وهم يرتبطون بينهم بروابط الاسرار الغامضة على مقتضى ما سنّوهُ لهم من السنن فتراهم يقسمون على التوراة وتحت طائلة اشدّ العقابات بأنهم يسكتون ابدًا عن اعمال جمعيتهم . على انّ الاثم مهما اختفى لا بدّ ان ينكشف يومًا وهذا ما جرى لتلك الجمعيات التي بلغ العموم شيءٌ من اعمالها السيئة فحرّك في قلوبهم الريب في صحّة نياتها وتحقّق العقلاء انّ الانضمام اليها دليل على خبث الداخل فيها وعلى فساده . وحسبنا شاهدًا على انّ اجتماعاتها الخفيّة هي للشرّ لا للخير انّها تبغض النور . وقد ازداد اشمئزاز الناس العقلاء من هذه الجمعيات الى حدٍ اوجب حملَ كل الدول على مماكستها وتشتيت شملها . . .

« واذا فكّرنا في الاضرار الجسيمة التي تنجم من هذه الجمعيّات السرّية رأينا منها ما يوجب القلق سواء كان لسلام الممالك او لخلاص النفوس ومن ثمّ بعد اخذ رأي اخوتنا الكرادلة وبعلمنا التام وبقوّة سلطتنا الرسولية حكمنا وقضينا بانّ هذه الشركات

والجماعات المعروفة باسم الفرمَاسون وبايّ اسم كان مثلهُ يجب ردُّها ونفيها. وبناء عليه نرذلها نحن ونشجبها بقوَّة هذا المنشور الذي نريد ان يكون معمولهُ مخلَّداً. والحالة هذه نحظر بحكم الطاعة المقدَّسة على كل المؤمنين وعلى كل فرد من افرادهم من اي مرتبة او حالة كانوا من اكليريكيين او عالميين من قانونيين او غير قانونيين ان ينشئوا جمعيَّات ماسونيّة او ينشروها او يساعدوها او يقبلوها في بيوتهم او يدخلوا فيها او يحضروا حفلاتها وذلك تحت طائلة الحرم يسقط فيهِ المؤمن بذات الفعل ودون تنبيه خاص ونحفظ لنا ولخلفائنا الحلّ من هذا الحظر ولا نسمح لاحد ان يحلّ عنهُ دون رخصتنا اللهمَّ الّا في ساعة الموت...»

(بندكتوس الرابع عشر) لما انتشرت البراءة السابقة هدأت قليلاً حركة الماسونية الى ان قام في الخلافة البطرسيّة البابا بندكتوس الرابع عشر فجعل انصار الماسون يعلنون بان براءة سلفهِ قد بطل عملها وان الحرم لم يعد ينال المنضمّين الى الجمعيَّات السرّيَّة. فلمّا بلغ الامر البابا بندكتوس وضع براءةً جديدة في تاريخ ١٨ ايار سنة ١٧٥١ اثبت فيها منشور سلفهِ وزاد في ايضاح حالة الماسونية وآثامها اوّلها (Providas) فقال:

«لكي لا يدَّعي احد باننا لم نقم بما تفرضهُ علينا واجباتنا المقدَّسة من العناية والتدبير اننا عزمنا على تجديد واثبات براءة خلفنا اقليميس الثاني عشر وها نحن نكرّرها بحرفها ليعلم الجميع باننا نوافق خلفنا في كل مراسيمهِ (وبعد ذكرها اردف قائلاً): فاننا نؤيد هذا الحكم على الشيع الماسونية ويحملنا على ذلك عدَّة اسباب (فالسبب الاوَّل) انَّ هذه الجمعيات تشمل اناساً من كل الاديان وكل النحل فنكتفي بهِ دليلاً على ما ينال الايمان الكاثوليكي بهذا الاختلاط من الضرر. (والسبب الثاني) ان اصحاب هذه الجمعيات يتعاهدون اوثق عهد على السرّ التام عن كل ما يجري في محافلهم فيصحّ فيهم ما رواهُ الكاتب الروماني عن سيسيليوس ناتاليس في بعض اموره حيث قال: «ان الاشياء الحسنة تحبُّ الانتشار والشهرة اما الآثام فانها تتستَّر تحت حجاب السرّ». (والسبب الثالث) انَّ المنتظمين في سلك هذه الجمعيات يقيّدون انفسهم بالأقسام المحرّجة على محافظة اسرارهم. كأنَّ الانسان يجوز لهُ السكوت عن اسرار تمسّ صوالح الدولة او الدين اذا طلب منهُ اربابُ الامر كشفها فيأبى محتجاً بوعدٍ او قسم

باطل . (والسبب الرابع) انّ الدول العالميَّة كالسلطة الدينية قد اتّفقت في كل الاجيال على الغاء الجمعيات السرّية غير النظامية لما عرفتهُ من دسائسها وشرورها الجمّة (وهنا يعدّد البابا بعض القوانين التي سنّها الملوك لقطع هذه الجمعيات) . (والسبب الخامس) انّ هذه الجمعيات الماسونية قد انتبه الى مساوئها بعض ارباب الدول فابعدوا مشايعيها من تخومهم . (والسبب السادس) والاخير انّ اصحاب الفضل وذوي الحكمة مجمعون على انّ هذه الجمعيات لا خير فيها اذ لا يدخلها احد الّا لحقتهُ وصمة العار والشنار »

فترى انّ البابا بندكتوس وصف الجمعية الماسونية اوفى وصف وبيّن احوالها على احسن صورة وانّنا لم نقل في حقّها شيئًا الّا عُرفت بهِ منذ زمن طويل . وكأنّ هاتين البراءتين أثارتا غضب الماسونية فتنمّرت لها غيظًا واخذت مذ ذاك الحين تشنّ الغارات المتوالية على كنيسة المسيح سرًّا وجهارًا حتى بلغ السيل الزُّبى وظنّ الملحدون أنّهم انتصروا على الحق وزعزعوا الصخرة البطرسية وانما اثبتوا فقط بتحاملهم عليها قوّتها الالهية

(بيوس السابع) ولما رجع الى الكنيسة سلامُها وعاد بيوس السابع بعد المحن المتعدّدة الى عاصمته رومية ظافرًا اسرع الى ضرب الجمعيات السرّية بالحرم والعقوبات الكنسية . وكانت جمعيَّة الفحّامين وهي فرع من الماسونية اخذت بمناصبة الدين ونشر لواء العصيان والفجور فاعلن المجمع المقدس الحرم عليها بحكمين خصوصيين . ثم دُبّت دسائس هذا الفرع واستفحل شرّهُ فرذلهُ ببراءة عمومية اولها (Ecclesiam) وتاريخها ١٣ ايلول سنة ١٨٢١ جدّد فيها احكام سلفيهِ السابق ذكرها في الجمعيات السرّية عمومًا وفي جماعة الفحّامين خصوصًا وقضى بحرم كل المنتمين اليها وانصارها والقارئين كتبها

(لاون الثاني عشر) لهُ براءة جليلة في تاريخ ١٢ اذار سنة ١٨٢٦ كان حقّها ان تُرقم باحرف الذهب لما اودعها من الاوصاف الدقيقة لجيل الماسون ومكايدهم ولشغبهم وللشرور العظيمة التي اقرفوا سجالها على العالم ولولا طول هذا المنشور البابوي لنقلناهُ كلّهُ بالحرف الواحد . واوّل هذه البراءة (Quo graviora) بيّن في فاتحتها انّ السيد المسيح وكلَ الى بطرس وخلفائهِ رعاية قطيعهِ ليذودوا عن حماه ويردّوا عنهُ هجمات الذئاب الكاسرة . ثم اردف بقولهِ انهُ ليس بوحوش اضرى من اصحاب الجمعيات السرّية التي ناصبها خلفاؤه وخصّ ذكر فرعيها الجديدين اي الفحّامين وجماعة

« الكلّيين » (Société universitaire) التي أنشئت في بعض الكلّيات المادية الدين. ثم قال الحبر الاعظم :

« قد تقرّر انّ هذه الجمعيّات السرّيّة هي التي أوقدت نار الفتن في اوربّة بل اسعرتها في اقاصي البلاد بواسطة عمّالها الاشرار. ولما اجتمعت الدول وكبحت جماحها كان أملنا معقودًا برجوع السلام الى البلاد لكنّ الجمعيات السابق ذكرها عادت الى دسائسها واستأنفت حملاتها على كنيسة المسيح. فانّنا بكل اسف نرى كلّ يوم اصحابها ينتهكون حرمة الاقداس ويدنّسون بكتاباتهم كل صالح بارّ ويهيّجون كل الاهواء الفاسدة على السلطتين الدينية والمدنية

« وليس كلامنا ظنًّا وهميًّا بلا سند فانّ كتبهم التي ألفوها تشهد عليهم فانّها لا تحترم دينًا ولا تكرم سلطانًا فينقضون اساس الألفة البشريّة ويسلّمون جهارًا مذهب المادّيين وينكرون ليس فقط لاهوت السيد المسيح بل وجود الله عينه. وقد وقفنا ايضًا على رسومهم وقوانينهم السرّيّة فاذا هي موافقة لهذه المبادئ المعطّلة

« وعليه بعد ان استشرنا اخوتنا المحترمين كرادلة الكنيسة المقدّسة وبعد الرويّة وامعان النظر من ذات خاطرنا وبعلمنا الاكيد نحرم حرمًا مؤبّدًا وتحت العقوبات المجزّة من سلفائنا كلّ الجمعيات السرّيّة الحاضرة والمستقبلة التي تضمر الشرّ للكنيسة ولكل سلطة شرعية. ومن ثم نأمر جميع المسيحيين اجمالًا وافرادًا من كلّ رتبة ومقام ودعوة . . . . . ان لا يستحلّوا ابدًا بايّة حجّة كانت الدخول في هذه الجمعيات او مؤازرتها سرًّا او علانية . . . . تحت عقاب الحرم الذي يسقط فيه المخالفون بذات الفعل ولا يقدر احد ان يحلّهم منه الّا نحن او احد خلفائنا ما خلا خطر الموت. ونحن نرذل خصوصًا تلك اليمين الربيعة التي يرتبط بها الماسون على ان لا يبيحوا لاحد باسرارهم بل يقبلوا الموت دون كشفها . وهو قسم باطل خالٍ عن القوّة لا يلزم صاحبه لانّه مضادّ للديانة منافٍ للعدل »

وللحبر الاعظم في آخر هذه البراءة كلام نفيس يوجّهه الى كل اصحاب الامر في العالم من كاثوليك وغيرهم ويستحلفهم بالله وبحبّهم لاوطانهم « ان يقوموا في وجه هذه الجمعيات ويستأصلوا آثارها لئلا تثور تلك الافاعي السامّة فتنفث سمّها في البلاد مباشرةً بارباب الدولة وضابطي السلطة فيصبحون اوّل ضحايا لأولئك الاشرار الذين

لا يردعهم رادع ذمّة ولا يثنيهم خوف الله ».

(البابا غريغوريوس السادس عشر) في ايامهِ ضبط شُرَط الدولة البابويّة اوراقاً سرّيّة لتلك الجمعيات الاثيمة كشفت للعيان ما كان يعدّهُ اعضاؤها من الاشغاب والثورات وما ارتكبوهُ من الفظائع وضروب الآثام التي لم تخطر على بال بشر وانما ارشدهم اليها شيخ النار وحدهُ. فلما وقف عليها امام الاحبار ارسل في ١٥ آب سنة ١٨٣٢ الى العالم الكاثوليكي رسالتهُ البادئة بهذه الالفاظ (Mirari vos) يخرق فيها الستار المتحجّبة وراءهُ الماسونية ويفضح كل مساوئها

(بيوس التاسع) لأنّ هذا البابا العظيم الذي شرّف الكنيسة بمآثرهِ قد ذاق ايضاً انكاس المرّة التي مزجتها لهُ الماسونية بل شربها الى صبابتها فنُفي من حاضرتهِ وقاسى صنوف العذابات الى ان غُصبت دولتهُ بدسائس الماسون وفُتحت مملكتهُ ظلماً فانّهُ جرى على آثار اسلافهِ وقضى مراراً على تلك الشيعة الوخمة وعلى الاخصّ في خطابهِ الذي ألقى بهِ في مجمع الكرادلة في ٢٥ ايلول ١٨٦٥ حيث قال:

« أيها الاخوة المكرّمون. ان ما بين الحيل والمكايد العديدة التي اعتصم بها اعداء الاسم المسيحي لمهاجمة كنيسة الله باذلين جهدهم — وان كان عبثاً — في خرابها وتدميرها ينبغي لنا بلا ريب ان نعدّ جمعية اولئك القوم الضالّين المعروفة بين العموم باسم الفرماسونية وهي الشيعة التي طالما تبرقعت ببرقع الظلام الدامس ثم آل امرها اخيراً الى الظهور بهجة لتنشر الخراب وتدمّر اركان الدين والمجتمع البشري »

ثم يذكر بيوس التاسع ما صنعهُ خلفاؤهُ لمناهضة تلك الشيع وما سعوا بهِ لدى الملوك ليدفعوا عنهم اخطار شرورها حتى قال :

« ويا ليت هؤلاء اصاخوا سمعاً لصوت اسلافنا وتصرّفوا في تلك الخطوب الجسيمة بشيءٍ من النشاط والهمّة. فلو فعلوا لما كنا نحن واياهم نندب ونتأسف على ما بُلينا بهِ من تواتر الحركات والفتن ومن الحروب الدمويّة التي اشتعلت بها اوربة كلها وكنّا نجونا من الخطوب والنكبات التي لم تزل محدقة بالبيعة المقدّسة »

وهنا يعدّد البابا ما ارتكبته الجمعيات الماسونيّة من الجنايات رغماً عمّا تدّعيهِ من الدعاوي الكاذبة بانّها جمعيات خيريّة تريد تلطيف اوجاع البشريّة ثم اردف قائلاً:

« فماذا تحاول اذن هذه الشيع المؤلفة من أخلاط كل دين ومذهب؟ وماذا تقصد

من تلك الاجتماعات الخفيّة وبتلك الاقسام المتأفّة التي يبرزها الداخلون فيحلفون أنهم لا يبوحون بشيء مما يتعلّق بها؟ ولماذا تلك العقوبات الشديدة الهائلة التي يخضع لها اصحابها اذا اتفق لهم ان ينكثوا بيمينهم؟ لعمري لا بدّ انّ تلك الجمعية التي تفرّ من النور طاقة جهدها تضمر الشرور كما قال الربّ: من يعمل الشرّ يبغض النور

« وانظر رعاك الله ما اعظم الفرق بين هذه الاجتماعات التقويّة الزاهرة في الكنيسة الكاثوليكية حيث لا سرّ يحجبها ولا خفاء يكتمها بل ترى كلّ رسومها وشرائعها بادية علناً لاعين الجميع والجميع يشاهدون ما يأتي به اصحابها من اعمال الخير والرحمة وفقاً لتعليم الانجيل. ومع هذا فاننا نرى بكل اسف انّ بعض الدول تهين هذه الجمعيات المجلّة بكل صفات الكمال التي من شأنها الصلاح واغاثة الفقراء فتبطلها ونما تقتبل او بالاقلّ تحتمل بلا معارضة جمعيات الماسون المستخفية وعدوّة الله والكنيسة والمتهدّدة لأمان الممالك » .

ويليه تجديد الحبر الاعظم لكل العقوبات الكنسيّة على الشيع السريّة وعلى من ينتمي اليها او يعضدها بايّ نوع كان

ولما امر البابا بيوس بتحرير التأديبات الكنسية في سنة ١٨٦٨ واعلن بالحروم المحفوظة للحبر الاعظم في براءته (Apostolicæ Sedis) جعل الحرم الرابع منها الدخول في الماسونية بما حرفه :

« ويسقط في الحرم المحفوظ للحبر الروماني من انضمّ الى البدعة الماسونية او الفحامية او الى غيرهما من البدع المجانسة التي من شأنها الجدّ والسعي سرّاً او علناً في افساد الكنيسة والسلطات الشرعية وكذا من يؤيد هذه البدع ومن يهمل الإعلام برؤسائها وزعمائها المجهولين ما دام مصرّاً على هذا الإهمال »

وكان المجمع المقدس قبل ذلك ابرز حكماً صادق عليه الحبر الروماني في ٥ تموز سنة ١٨٣٧ ثم زاده ايضاحاً في ٢٧ حزيران سنة ١٨٣٨ فقضى بموجبه على كل الكهنة في سائر اقطار العالم ان ينكروا الحلّة على كل كاثوليكي مرتبط مع الشيع الماسونية بوثاق اليمين ما لم يجحد الشيعة قطعياً ومؤبّداً. وان منحوه الحلّ كان الحلّ باطلاً بلا فعل. ثم زاد بيوس التاسع على ذلك انّه احتفظ الحلّ لنفسه او لخلفائه كما رأيت

(لاون الثالث عشر) ولم يحِد البابا لاون الثالث عشر عن منهج اسلافهِ في محاربة الماسونية بل رشقها مثلهم بسهام الحرم وزيَّف تعاليمها وقبَّح اعمالها التي اضحت خطراً عظيماً لتقويض اساس العمران البشري . وله خصوصاً في ذلك براءة مفعمة حكمة وبلاغة اولها (Genus humanum) كتبها سنة ١٨٨٤ وتتبَّع فيها المبادئ الماسونية التي هي مبادئ الطبيعيين والمعطّلين واهل الثورات والفتن فاثبت بطلانها والشهر فسادها بكل شدَّة ومن اقوالهِ ما يبطل زعم الماسون بانهم يكرمون الاديان فقال :

« واذا كان الماسون لا يُكرهون الداخلين في سلكهم على اطّراح المذهب الكاثوليكي باللفظ الصريح فليس ذلك نافياً لاغراضهم بل مساعداً عليها لأنهم اولًا يتسنَّى لهم بهذه الطريقة خداع السذَّج والغفلة وتفسيح المجال لدخول الكثيرين . ثم انهم بقبولهم الناس على اي مذهب كانوا يتهيَّأ لهم ان يؤيّدوا بالفعل ذلك الضلال الجسيم الفاشي في هذه الايام وهو وجوب مغادرة المذهب جانباً وعدم الفرق بين جميع المذاهب وهذا لا شكَّ مدرجةٌ للاشاة جميع الاديان ولاسيما الدين الكاثوليكي الذي لما كان وحدهُ الدين الحق كان في مساواتهِ بسائر الاديان ضمةٌ عظيمة من قدرهِ »

ثم بيّن الحبر الاعظم موافقة الماسون للطبيعيين في امور عديدة كنكرانهم للساطة ونقضهم للشرائع الدينيّة والمدنية واستسلامهم الى كل المفاسد وركوب كل الشرور . الى ان ختم بالدعوة الى كل البطاركة والاساقفة كي يساعدوهُ على استئصال شأفة الماسونية ودلَّهم على بعض الوسائل المعينة على ذلك بقوله :

« عليكم ان تكشفوا النقاب عن حقيقة الشيعة الماسونيّة لتراها الناس كما هي وان تعلّموا الشعوب وتنبّهوهم بالخُطَب الشفاهية او بالرسائل الرعائية الى مكائد مثل هذه الجمعيات في مراساتهم ومواعيدهم الكاذبة والى فساد آرائهم وقبح اعمالهم وان تبيّنوا لهم ما أقرَّهُ سلفاؤُنا غير مرة من انهُ لا يباح لاحد ولأيّة علّة كانت ان يتحيّز الى شيعة الماسونيين اذا كان عندهُ الدين الكاثوليكي والخلاص الابدي من منزلة الاعتبار والاهمية ما يجب ان يكون . وليحذر كلٌّ منهم ان يغترَّ بالأدب الظاهري . فقد يظهر للبعض ان الماسونيين لا يلتمسون شيئاً مما يضاد بالوجه الصريح قداسة الدين والآداب فكفى هؤلاء ان يعلموا بان حقيقة هذه الشيعة وغايتها مبنيتان على الفساد والرداءة فلا يمكن ان يُباح لهم التحيّز اليها ومظاهرتهم لها بنحو من الانحاء »

ولم يزل بعد ذلك الطيّب الذكر لاون الثالث عشر يكرّر تنبيه المؤمنين على خباثة الشيع الماسونية ودعارتها ويحذّر الجميع من اخطارها. وكانت آخر براءةٍ وجّهها للعالم الكاثوليكي في آذار سنة ١٩٠٢ كوصيّته الاخيرة لبني البشر كافةً وفيها يحذّرهم من تلك الشيع الجبيئة « التي لا همّ لها ألّا التسلّط على الهيئات الشرعية فضلًا من اثارة الحرب على الكنيسة وعلى الله معاً »

٢ رؤساء الكنائس الشرقية والماسونية

انّ وباء الشيع الماسونية لم ينتشر في بلاد الشرق الّا من عهد قريب لا يتجاوز الخمسين سنةً وكان من امرها اوّلًا انها عمدت الى الاستخفاء والاكتتام كمألوف عادتها لاسيما اذ رأت ان السلطة المدنية تعارضها في العمل ولا ترضى بتزعاتها بل لا تريد بذكر اسمها . ومما جرى لنا سابقًا انّا اردنا قبل عشر سنوات ان نكتب فصلًا في ماسونيّة الشام فلم يسمح لنا المراقب بنشرها وكان اذا رأى اسم الماسون واردًا في بعض المقالات يشطّب عليه ويحظر من نشره

(السيد يوسف فالركا) على ان الرؤساء الروحيين في الشرق اذ شعروا بسريان الوباء الى رعاياهم اتخذوا له الاحتياطات ونبّهوا اليه افكار المؤمنين ولعلّ الطيب الذكر السيد يوسف فالركا البطريرك الاورشليمي على اللاتين كان اوّل من دلّ على هذه العرّة في منشوره الذي طبعهُ في بيروت سنة ١٨٧١ وشرح بزيد الاسف لابناء بطريركيته ما صنعهُ الاشرار في رومية وانتهاكهم لحرمة الكرسي الرسوليّ واستطرد الى ذكر الماسونية واعمالها الشريرة حيثما حلّت وقيامها على المسيح وبيعته المقدّسة وحضّ الشرقيين على اخذ حذرهم منها

(البطريرك جرجس شلحت) وبعد سنين قليلة تسرّبت الماسونية ودخلت في بعض مدن الشام حتّى وصلت الى الشهباء فقام في وجهها السيد البطريرك الغيور اغناطيوس جرجس شلحت بطريرك السريان الكاثوليك وارسل الى طائفته رسالة طبعها في حلب وتاريخها ١٤ ايلول سنة ١٨٨٦ ندّد فيها بالشيع السريّة ومآتمها الى ان قال :

« ونحرّض شعب الله الأمناء على وديعة الايمان القويم فيجتمعوا بروح واحدة وقلب واحد معنا نحن رعاة لنفسهم للدفاع عن مبادئ الدين والآداب المعرضة

للانتقاض بسعي جنود ابليس الرجيم اصحاب الكفر واهل الشيعة الماسونية المتبثّة في بلدتنا هذه والساعية في دمار ألفتنا المسيحيّة ادبيًا وماديًا باحتقار سلطانها وهدم اركانها...

« ولئن سألتم ايها الابناء الاعزاء ما هي الماسونيّة يا تُرى؟ نجيبكم إنْ هي الّا روابط وضوابط سريّة لنقض كل سلطان روحي وزمني تحت اقسام تهديديّة بالقتل لمن يفشي اسرارها وهي جمعيّة لا ديانة لها لانها تحتمل كلّ الاديان لتسخر بها وتداجي وتُنافق مع كلّ المذاهب فتتخر لأنها تجمع في محافلها وأنديتها الكاثوليكيّ الذي يعتقد سرّ الافخارستيا والبروتستنتي الذي يكفر به والمسيحيّ الذي يؤمن بالخلاص ويسجد له سبحانه لانه كلمة الله واليهودي الذي يتزله منزلة انسان ماكر...

« وان قلتم بماذا يتعامل الماسونيون في اجتماعاتهم السريّة ؟ قلنا انّ هؤلاء القوم الذين يحتقرون الطقوس المسيحيّة الاكثر تأثيرًا على النفوس ويسخرون باحتفالاتنا المقدّسة ويحسبونها كمظاهر مفرحات عالية يتعاملون في اجتماعاتهم بطقوس وعبادة مضحكة ومرعبة معًا وفيها يتلاعبون بالعقول السخيفة. وهذا ما تحققناه من تقريرات موثوق بها ومن الاوراق التي وُجدت بايدي المهتدين الراجعين من هذه الشيعة... فهي تكشف عن غشوش هؤلاء المتلاعبين بالعقول الساذجة الساعين في تدمير الالفة المسيحية لا بل الانسانية. فما يعملون بالطالب الاشتراك عند دخوله المرّة الاولى الى المحفل انهم يضعون عصابة على عينيه ويقودونه كحيوان اعمى ليقضي ثلاث رحلات كاذبة يسمونها رحلات الهواء والماء والنار ويمتحنون ثباته بايهامهم ايّاه انهم يسقونه سمًّا ويعرضونه لشرب الحار والمرّ ويَخِزون صدره برأس الخنجر للتهديد وهو واقف امامهم عاريًا عن قسم من ملابسه ويرفعون العصابة عن عينيه في اماكن مظلمة موشّحة بالسواد فيها اثرٌ من النور الصناعي الطفيف فيشاهد في بعضها جماجم موتى... (اطلب صورة هذا المشهد) ويستحلفونه بالاقسام الحاوية التهديد بالقتل اذا افشى اسرارهم... فهذه طقوس الداخلين في الدرجات الابتدائية واما طقوس ذوي الدرجات النهائية في اجتماعاتهم فهي وثنية وذات مظاهر رديئة ومعاملات خالية من الأدب وعبادات خالصة لابليس اللعين... كل ذلك يلتزم الماسونيون ان يكتموه تحت تهديدات القتل على المخالفين. أفما ان كتمانهم هذا وتحذيرهم يوجبان الحكم عليهم بانهم ضالّون ؟ »

ثم اتسع غبطة الكاتب في وصف اعمال الماسونية ووصف هكذا تلوّنها فقال ونعم القول:

« قلنا ان الماسونية لا تُعرَف لها شريعة حتى اليوم والظاهر ان لا شريعة لها كما انهُ لا يوجد لها اعتقاد. على انها تحتَملُ في محلّ قيامَ الحكّام وارباب النهي والامر وتثلُ في محل آخر عروش الملوك وتقلب كراسي سلطنتهم. تتظاهر هنا بتكريم الزواج كسرٌ مثلًا وتفتخر هناك بالطلاق وتبيح الزنى. فالخليق بها ان تُدعى حالتها توافق المآثم والجرائم والكبائر مع ظواهر الفضيلة والاعمال الحسنة فتعرج على الجانبين فتعود بالواحدة وتغادر الاخرى مراعاة لهواها وقضاء لغاياتها. تبدي لنا اليد المتفاخرة التي توزّع الحسنات ترويجًا للمظاهر الفخيمة وتخفي اليد الاخرى القابضة على الخنجر لتقتل من يفشي اسرارها ويمحيها. تراها اليوم ذليلة وخاضعة محسنة. وغداً تبدو لك جسورة سافكة للدماء. يُشاهَد اصحابها مثلًا في بعض الاماكن من العالم مستترين بالرياء. وامّا في غيرهـا فمن اصحاب الكومون وسافكي الدماء. وفي انحاء اخرى يتكونون من اهل الثورة الاشرار واليهود الجحود والرعاع والسفلة . . . »

وهذه الرسالة طويلة كنا نودّ نشرها برمّتها لولا ضيق المكان وقد ختمها الكاتب الجليل بذكر الحرم والعقوبات الكنسية التي قرّرها الكرسي الرسولي على التشيعين بالماسونية ونهى رعاياه خصوصاً عن ادخال الكتب والرسائل والجرائد الماسونية المخالفة للايمان والاداب في بيوتهم وعن مُطالعتها او السماح لاولادهم بالنظر فيها

(السيد البطريرك الياس حويّك) وكان لبنان بقي زمنًا طويلًا طاهرًا من وجس الماسونية حتى عاد اليه بعض المهاجرين الى اميركة ممن باع هناك دينهُ بدنياهُ فبثّوا بعد عودتهم روح الشيع الماسونية بين مواطنيهم وأفسدوا بعض الجهّال كثر دينهم. وقد تصدّى غبطة البطريرك الجليل السيد الياس حويّك لغارات بني الارملة ووزّع على كل كهنة الرعايا منشور قداسة الحبر الروماني لاون الثالث عشر الذي سبق لنا ذكرهُ وامرهم بتلاوته على مسامع المؤمنين وصدّرهُ برسالة ذكر فيها مساوئ الماسونية ومكائدها في لبنان وحرّض جميع ابناء طائفته على نفيها ومماكستها. ومما قالهُ غبطته:

« انّ بعض ذوي الفساد . . . شرعوا من مدّة يسعون في تأسيس جمعيات سرّية متظاهرين بالتعاضد على عمل الخير ليخدعوا السذّج ويتملّصوا من المسؤولية تجاه

السلطتين الروحية والزمنية. وقد تقرّر لنا من اشخاص عديدين يوثق بصدقهم ان اولئك المفسدين يحاولون ان يبثّوا في بعض الجمعيات المارونية الروح الشرير تحت ظاهر مبدإ التكاتف على المشروعات الخيريّة وان يبذروا فيها مبادئ الماسونية الوخيمة المضرّة بالدين والعمران المدنيّ. وليس مسيحي حقيقي يريد الانضمام الى شركة صفاتها كهذه مضادّة لتعليم الرب ولنظام الالفة البشريّة. . . » . الى ان قال غبطته:

« ولهذا لا يسوغ للموارنة ان يؤاخوا الجمعيات السريّة مهما كانت لأنها مشبوهة ومرذولة. . . فما الداعي والحالة هذه للالتجاء الى الماسونية في هذه الديار سوى الحماقة والخفّة والطمع في الذين لا يفقهون جوهر الامور او لا يرجون التقدُّم والفلاح من الاستقامة في الاعمال والصدق في الكلام بل من التعصب والجور والخلاعة. والذين لاجل تنفيذ مآربهم السيئة وارواء غليل مطامعهم القبيحة يستخدمون الوسائل وان كانت مضادّة للدين ومنافية لخير بني وطنهم وجنسهم لتوهمهم ان الحصول على مبتغاهم انما هو خير البلاد والعباد. ولو تأملوا ان الدين هو اساس كل توفيق وسلكوا بمقتضى تقليدات الاقدمين لامكنهم الوصول الى ما يتمنّون بشرفٍ وفخر دون ان يتعرّضوا لغضب الله الرهيب. ولا ريب بان الله الطويل الاناة هو ايضاً شديد العقاب فلا يسمح بان شعبهُ المختار يذهب فريسة بعض الاغبياء اللذين طُبعوا على الشرّ بل ينقذه من اشراكهم ويحفظهُ سالماً من مساعيهم المهلكة. . . »

(السيّد كودنسيو بُنفيلي) وكان سبق سيادة القاصد الرسولي المبرور كودنسيو وحذّر من اشرار الماسونيّة في منشورهِ الذي تاريخهُ ٢٥ ك٢ ١٨٩٠ قال:

« انّ الاخطار المعرَّض لها ايمان كل منكم وديانة كثيرة . . . وخصوصاً بالمساعي الجهنميَّة المبذولة من الشيعة الماسونيَّة التي لا تزال حتَّى في هذه الديار ايضاً تخدع المغفَّلين والجهَّال بانواع الخبث والمكر وبحجّة بعض الخير الظاهر ايضاً تكثيها توجه جميع مساعيها ضدّ الكنيسة المقدسة ورأسها المنظور الحبر الروماني جالبةً كل نوع من الاضرار على نفوسكم وعلى الدين بل على نفس الاجتماع المدنيّ. ومن ثمَّة نناشدكم ايها الابناء الاعزاء باحشاء يسوع المسيح بان تحذروا جهدكم هذهِ المكايد الشيطانيَّة وترفضوا وترذلوا دون حياء بذري هذهِ الشيعة التي كثيراً ما رفضتها ورذلتها الكنيسة الكاثوليكيَّة، وان تدافعوا عن ايمانكم وتعترفوا بهِ بكل بسالة بالقول والفعل. ونطلب

اليكم ايضاً ان تصلوا دائماً لابي المراحم ان يخمد بحلمه الغضب المسبب من تجاديف هؤلاء الاثمة واعمالهم الفاسدة ...»

(نيافة القاصد الرسولي) السيد فرديانو جانيني قد انتهز فرصة اعلان الحكومة الدستوريّة ليحذر الشرقيين من الجمعيات السريّة كسلفهِ بقولهِ :

« ونحرّض عموم ابنائنا الاعزاء في هذه النيابة الرسولية على ان لا يسيئوا استعمال الحريّة الجديدة بانضمامهم الى الجمعيات السريّة المرذولة من الدين والعقل السليم لانها تكبّلهم بقيودها السريّة وتحرمهم الحريّة الحقيقية اعزّ الكنوز واثمنها . فان الرجل المرتبط بجمعية سريّة ليس برجل بل انهُ عبد في قبضة رؤسائهِ وهو لا يشعر . وبما اننا الان في عصر الحريّة ويتسنّى اعلان كل الاراء الصالحة الحرّة ونيل كلّ الرغائب المحلّلة فما الغاية من كتم هذه الجمعيات السريّة امرها ؟ فلا فائـدة تُرجى من السر ان كانت غايتها حميدة . ولهذا بعدما نرى كل ما تبذلهُ من العناية في سبيل بقائها سريّة يسوغ لنا الحكم بانها تنوي نيات منكرة يرذلها كل ذي فضل وصلاح . فالسيد المسيح اراد ان تكون ابناء النور : « لتكونوا ابناء النور » (يو ١٢ : ٣٦) . انبذوا الظلمات اذاً . انبذوا اسرار الشيع المنكرة . لكم الحريّة في ان تؤلفوا الشركات وتشكلوا الجمعيات للدفاع عن مصالحكم لكن فليكن ذلك ظاهراً وواضحاً للجميع كما يفعل الوطنيون الاحرار الذين لا يرون حاجة الى اخفاء اعمالهم وستر مقاصدهم . كونوا اذاً ابناء النور وحينئذٍ تكون جمعياتكم التي نستمطر عليها البركات الربانية من الان آلة لنجاح وطنكم الارضي وتمهّد لكم السبيل لنيل السعادة الابدية في الوطن السماوي »

(سيادة المطران انطون عريضة) رئيس اساقفة طرابلس قد ضرب على الوتر عينه في رسالته الرعائية النفيسة التي وجّهها الى ابناء رعيّته فقامت بسببها قيامة الماسون فقال سيادتهُ :

« ومنهم (اي من الضالّين) ايضاً اولئك الذين لاغراض زمنيّة يتركون النور ويتبعون الظلام منحازين الى اعداء الدين نعني بهم اولئك الذين يُسلمون ذواتهم الى تلك الجمعيّة السريّة اللقبّة بالماسونية ويقيّدون ذواتهم عن غير معرفة باغلظ الأيمان ويبيعون ضمائرهم خاضعين لأشد التهديدات حتى قتل النفس المحرّم . وتلك الجمعية التي ظهرت في الغرب اخذت منذ امدٍ قريب تنتشر في الاصقاع المشرقية وتنشر

مبادئها الفاسدة تحت طيّ الإصلاح وهي لا تقبل بين اعضائها الّا الاشخاص المنظورين ليتسنّى لها بهم ان تحصل على ما تبتغيه من السيادة وعز الدين لكنها تحظر من ان تُظهر لجميع اعضائها ما تبطنهُ من الشرّ ولأجلهِ قد جعلت لها اكثرَ من ثلاثين درجة وكل درجةٍ منها هي سرٌّ محجوب عمَّن لم يرتقِ اليها لأنهُ اذا عرف الحديثون فيها جميع اسرارها دفعةً واحدةً ينفرون منها ويمقتونها فلا تروج بضاعتها لديهم ومتى دخل فيها احدٌ تأخذ تنفث فيهِ سمّ مبادئها رويدًا رويدًا حتى تجعلهُ صالحًا لخدمتها. والطعم الذي تنثرهُ لاصطياد من تروم ان تجذبهم اليها هو وعدها لهم بانها تساعدهم بجميع رغائبهم ومطاليبهم وتدافع عنهم في كل اعمالهم مموّهةً على الحديثين منهم المتمسكين بدينهم انها لا تتعرّض ابدًا للدين ولا تقصد الّا الخير البشريّة وتدبّر لهم من وراء هذا الستار الحائل لتوقعهم بشرّها . . . ولما كانت الشجرة تُعرف من الثمرة قد عُرفت مقاصد تلك الجمعية بما اتته من الاعمال المضادّة للدين وللمبادئ الصحيحة العائدة لخير الانسانيّة في اوربا خصوصًا وفي غيرها من القارات. ومن اقوال عمّالها وكتاباتهم الموجهة صريحًا لنسخ الدين لاسيما الدين الكاثوليكي واضطهاد خدمهِ واتباعهِ بكل وسيلة جائزةً كانت او غير جائزة وسعيهم بكل جدّ الى ابطال التعليم الديني وتحقير اسرارهِ المقدسة ونقض وثاق الزواج المقرَّر بالشريعة الالهية وعماهم على محو اسم الخالق من عقول البشر لو قدروا مبتدئين بمحوهِ من المدارس والمعاهد العمومية وعلى اطفاء الانوار السماويّة على ما قال احدُ زعمائهم حتى لا يكونَ لهم شاغلٌ سوى في الاشياء الارضية . . لذلك قد حرمهم الاحبار الاعظمون ونشر هذا الحرم رئيس طائفتنا الاكبر السيد البطريرك الساهر بعين يقظى على خير طائفته . وانّا باسف شديد نرى من بعد نشر هذا التأديب البيعي واعلان الحرم الذي يتهدّدُ النفوسَ افرادًا من الطائفة المارونية لا يزالون منضمّين الى تلك الجمعيّة السريّة غير مكترثين بنهي رؤسائهم العائد لخيرهم ومنفعتهم الروحية ويعرّضون ذواتهم لخطر الهلاك الدائم ويسلون على دقو يش اركان طائفتهم والحطّ من كرامتها . فنندب حظّ هؤلاء الاشخاص سائلين الرب الغفور ان يهديهم جادةَ الصواب ويغفر لهم زلّاتهم ومساوئهم ويعاملهم برحمتهِ الواسعة . فننشدكم بالله يا ابناء ابرشيتنا الاعزاء ان تجتنبوا هذه الجمعية المحرّمة حتى اذا كان احدٌ منكم منحازًا اليها فليبادر حالًا الى تركها خاضعًا لمراسيم الكنيسة المقدسة. . . » (له تابع)

النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

ومما يلحق بعبادة الكواكب والنيّرات العظمى عند عرب الجاهليَّة اكرامهم لزُحَل والشِّعرى والدَّبَران والجبّار والثُّريّا يُستدلّ عليهِ من بعض اقوالهم او من أعلامهم كعبد الثُّريّا وعبد نجم وعبد الجبار. او تعظيمهم لبعض المظاهر الجويَّة ومنها الاله قُزَح الذي كان يُكرَّم قريبًا من مكَّة. وقد افادنا يوسيفوس الكاتب في كتابهِ العاديَّات اليهوديَّة (Ant. XV, 255) ان عرب آدوم كانوا يكرمون الهًا يدعوهُ (Koζé) ورأيُ العلماء انهُ قُزَح المذكور واليهِ نسبوا قوس الغمام

وكانوا يدلّون على آلهتهم بنعوت شتّى فان اصحاب الاسفار الحديثة في اليمن وفي جهات الصفا كغلازر (Glazer) ودوسو (Dussaud) وجدوا في الكتابات الحميريَّة والنبطيَّة تقادم لآلهتهم فنها للاله مالك والاله رحمان والاله رحيم والاله عزيز السابق ذكرهُ. وربَّما نسبوا آلهتهم الى بعض الامكنة التي كانوا يُكرَّمون فيها مثاله ذو الشرى وذو خَلَصة وذات السلام

ومن الاصنام المذكورة في الكتابات الحجريَّة وفي بعض الآثار القديمة والاعلام التاريخية موصوفات شتّى تدلُّ على اسماء معاني كالحظ والسعادة والغنى والعزّ منها الاله جَدّ والاله سَعد والاله رُضا والاله كُثرى والاله وَدّ والاله مَناف فهذه كلها كان العرب يكرمونها ويتفاءلون بها وينتسبون الى عبادتها فدعوا باسمائها عبد الجدّ وعبد الرُّضا وعبد ودّ وعبد مناف. وجاءت اسماؤها جميعًا في الكتابات المكتشفة حديثًا. ويقول العرب ان اهل دومة الجندل كانوا يكرمون صنمًا على اسم ودّ

وللعرب صنف آخر من الشرك شاع عند أمم كثيرة وهو تكريمهم لمواليد الطبيعة (fétichisme) من جماد ونبات وحيوان. فمن آثار تعظيمهم للجماد اكرامهم لحجارة بيضاء او سوداء. كانوا يوقعونها موقع التجلّي للقوات العلويَّة كانت تُكرم في بعض جهات اليمن والحجاز وبلاد النبط. وكان ذلك شائعًا عند غيرهم من اهل الشرق. فان هيكل الشمس في حمص كان محتويًا على حجر اسود يمثل اله الشمس وكان هليوغابال سادنًا

له قبل ان يتولى التدبير كقيصر روماني . وكان ذو خلصة مروة بيضاء . ومن آثار اكرامهم للجماد الانصاب وهي حجارة كانوا ينصبونها في انحاء بلادهم ذكرًا لآلهتهم ويصبّون عليها الزيت او الاقط او السمن او يطلونها بدم الذبائح ولعلّهم اقاموها في بعض المواطن كتذكار لحادث جليل ارادوا تخليده بينهم فأكرمها الأخلاف وعظّموها

وكذلك كانوا يقيمون المناسك لبعض الاشجار كالنخل . وقد روى الكتبة كياقوت وابن خلدون ان العزى كانت تكرم في نجران على صورة النخلة . وكذلك في نخلة اليمامة مكان قرب مكة (ياقوت ٤ : ٧٧٠) . ومنها ذات انواط قال ياقوت (١ : ٤٩٣) انها شجرة خضراء عظيمة كانت الجاهليّة تأتيها كلّ سنة لها فتعلّق عليها اسلحتهــا وتذبح عندها وكانت في جوار مكة . وقد بقي شيء من هذا الاكرام للاشجار حتّى يومنا في امكنة حيث يعلق بعض جهّال العرب وغيرهم اخلاقًا واسمالًا من الخرق في اغصان بعض الاشجار لينجوا من الحميّات

وكما عبد اهلُ الجاهليّة الجماد والنبات عبدوا ايضًا بعض الحيوانات والطيور منها النسر الوارد ذكره في القرآن (٧١ : ٢٣) مع ودّ وسواع ويغوث . ومن شهد على كون نسر من معبودات العرب كتاب التلمود (في فصل عبوده زارا) لليهود وكتاب تعليم الرسول عدي في القرن الثالث للمسيح وكلاهما يدعوه باسمه الآرامي « نشرا » وقد امتدت عبادة النسر بين الآراميين . ومنها « عَوْف » وهو اسم طائر صيّاد واحد اسماء الاسد ورد ذكره كاله في الاعلام فقالوا عبد عوف . وزعم البعض ان اسماء القبائل كاسد ونمر وكلاب كانت تدلّ سابقًا على بعض عبادة يقدّمها اصحاب القبائل لهذه الحيوانات . وقد بقي ايضًا اثر هذه العبادة في خدمة بعض الطيور والاسماك في انحاء الشرق كالرها وحلب وطرابلس فانّا رأينا ذلك بالعيان

هذا نظر اجمالي في آلهة العرب ومعبوداتهم . ويلحق بهِ عدّة ابحاث يلزمنا الكلام عنها (المقامات الدينيّة) العرب امّا اهل وبَر وامّا اهل مَدَر فكان يصعب على القسم التبدّي منهم ان يتخذ امكنة ثابتة لاقامة عباداته ومن ثمّ كانت الفرائض عندهم بسيطة يقيمونها حيثما حلّوا امّا بتوجيه نظرهم الى الاجرام الفلكيّة مع ذكر آلهتهم وامّا ببعض اعمال تقويّة من سجود ودعاء وتقادم لاسيما في بعض اطوار حياتهم المهمّة كمولد بنيهم وتزويجهم ودفن موتاهم وفي بعض امكنة عالية يدعونها المشارف . وكان اكرامهم

لمواليد الطبيعة يوافق ايضاً حالتهم البدوية فيجدون منها شيئاً اينما ساروا كالانصاب وبعض الاشجار والطيور التي يعيفونها ويزجرونها على مقتضى حركاتها يميناً او شمالاً. وكذلك يتيمّنون بالصيد السانح ويتشاءمون بالبارح. وكان الاب في عائلته والشيخ في قبيلته يقومان مقام الكهنة ويتوليان اجراء المشاعر الدينية باسم ذويهم

امّا اهل المدَر وبالاخصّ الذين بلغوا منهم درجةً راقية من التمدُّن كالحميريين والنبطيين ودول الحيرة وكِندة وغسّان فما كانوا ليكتفوا بهذه العبادة البسيطة وانّما خصّصوا لدياناتهم امكنةً يفردونها لذلك امّا بمضارب كانوا يزينونها باصناف الجلود والاقمشة على شكل قبّة العهد في بني اسرائيل وامّا بتشييد بعض الابنية لهذه الغاية كان بعضها فخماً اثيرًا كغمدان وبعض هياكل النبط ممّا ظهرت آثاره في هذه السنين الاخيرة في مدينة سلَع وجوارها . وقد نقل الكاتب اليوناني ديودورس الصقلّي (Diod. III, 45) عن السائح الاقريطشي اغاثرشيدس في القرن الثاني قبل الميلاد وصفاً لثلاثة هياكل زارها في جزيرة العرب قريباً من سواحل البحر. وربما دعوا هذه الهياكل بالمساجد فان لفظة المسجد قديمة وردت في كتابات النبط المكتشفة حديثاً

ومن مقاماتهم الدينيّة الكعبات وهي بيوت مربّعة مرتفعة على اشكال الكعاب كانوا يفرزونها لديناتهم منها ذو الكعَبات في شمالي الجزيرة لبني اياد ومنها كعبة نجران والكعبة اليمانية حيث كان بنو خثعم يعبدون صنمهم المسمّى ذا الخلصة مع غيره من الاصنام . واشهر منها الكعبة الحجازيّة في مكّة واوّل من ذكرها في التاريخ ديودورس الصقلي في القرن الاوّل قبل المسيح حيث قال (ك ٣ ص ٢١١) « انّ في جهات العرب المجاورة لبحر القلزم هيكل بالغ في اكرامه كل العرب ». وربّما سمّوا كعباتهم بالبيوت لانها كانت مكعّبةً . وكثر عدد هذه الهياكل في بعض الامكنة حتّى ان بلينيوس الطبيعي في القرن الثاني للمسيح عدّ منها ستين في مدينة سبا حاضرة اليمن و٦٥ في تمنة مدينة بني غطفان

وكانوا يتخذون لهذه المقامات حَرَمًا اي يجعلون لها دائرة تحفظ حرمتها ولا يجوز لاحد انتهاكها وكان حَرَم مكة اشهرها. وكذلك كان يخدم هذه المقامات رجالٌ يدعونهم كهنة او كهّانًا ويريدون بهم المخبرين بالاحوال الماضية والعرّافين. وربّما دعوهم سَدَنة اي خدمًا للمقدس يقومون بحاجاته وحاجات زوّاره. ومنهم من تسمّى باسم هذه

الامكنة كعبد الكعبة وعبد الدار

وكانوا يزينون تلك الهياكل بالتصاوير المنقوشة على جدرانها او ينصبون فيها التماثيل للاصنام على هيئات شتّى منها حجارة منحوتة بيضاء او سوداء ومنها صخور من العقيق وبعض الحجارة الكريمة او الصخور العاديّة كسعد معبود بني كنانة الذي فيه يقول الشاعر :

أتينا الى سَعْدٍ ليجمعَ شملَنا فشتّتنا سَعْدٌ فلا نحنُ من سَعْدِ
وهل سَعْدٌ الّا صخرةٌ بتَنُوفةٍ من الارض لا تدعو لغيٍّ ولا رُشْدِ

ومن الاصنام ما كان يُمثّل اشخاصاً بعينهم يحملون في ايديهم شارات او امتعة يدلُّ على خواصهم الموهومة كودّ وهُبَل جعلوا في ايديهما اقواساً وازلاماً وكالشمس اتخذوا لها صنماً بيده جوهر على لون النار وجعلوا لها بيتاً حجّوا اليه . ونصبوا ايضاً اصنامهم في خارج الهياكل بقربها او على مشارف ليراها الناس كنائلة واساف ومناف

وكانوا يكرمون تلك الاصنام بمناسك مختلفة منها حجّهم اليها افراداً او زرافات .

وكانوا اذا اغتسلوا او توضّأوا يطوفون حول الصنم دفعات معــدودة ويستلمون الصنم او يقبّلونهُ ويتقرّبون منهُ بتلبية معلومة قد دوّن منها الكتبة بعضها كتلبية ذي الكفّين صنم دوس رواها ابن حبيب : « لبّيك اللهمّ لبّيك لبّيك انّ جرهماً عبادك . الناس طُرْف وهم تلادك . ونحن اولى منهم بولائك » . وروى تلبية نسر : « لبّيك اللهمّ لبّيك لاننا عبيد . وكلّنا ميسرة وانت ربّنا الحميد » . وتلبية شمس صنم تميم : « لبّيك اللهمّ لبّيك لبّيك ما نهارنا نجرّه . ازلامه وحرّه وقرّه . لا نتّقي شيئاً ولا نضرّه . حجّاً لربٍّ مستقيم برّه »

ومن مناسكهم ايضاً انهم كانوا يسكبون السُّكَب من خمر او زيت او حليب لاصنامهم ثم يجعلون امامها طعاماً يأكلهُ الطير وقد سمّوا لذلك بعض آلهتهم «مطعم الطير»

وكانوا ايضاً يقصّون عند اوثانهم نواصي اولادهم او يحلقون شعورهم . او يرمون عندها الجمرات وهي الحَصَى كما اثبت ذلك احد كبار المستشرقين العلّامة شوفين (١ .

وكانت العذارى ايضاً يرقُصن حول الاصنام مسبلات ذيولهنّ كما قال امرؤ القيس :

فعنَّ لنا سربٌ كأنَّ نعاجهُ عذارى دُوار في مُلاءٍ مُذيَّلِ

ومن اخصّ مناسك العرب الذبائح لاصنامهم وخصوصاً لِلّات والعزّى ومناة : فانهم

---

١) اطلب كتابهُ في ذلك V. Chauvin: *Le jet des pierres au Pèler. de la Mecque.* Anvers, 1920

كانوا يرون في سفك الدماء وسيلة لاخماد غضب الآلهة وللتقرّب منهم وطلب رضاهم وما كانوا يأنفون من تضحية البشر انفسهم كما سبق القول. وممن شهد على ذلك برفيريوس الفيلسوف الوثني (١ في القرن الثاني للمسيح « ان اهل دومة الجندل كانوا كل سنة يضحّون لالههم رجلاً ثم يدفنونه بقرب المذبح ». وروى بروكوبيوس اليوناني ومؤرخ سرياني قديم نشر اعماله لند (Land) ان المنذر ضحّى للعزّى ابنَ ملك غسان اسيرهُ و ٤٠٠ من الراهبات المتنسكات في بعض اديرة العراق. وقد اتّسع نيلس من كتبة القرن الخامس بوصف غزوات اهل البادية لطور سينا وذكر قتلهم للرهبان الذين هناك وشرح خصوصاً ما حلّ بابنهِ تاودولس الفتى وكيف اسرهُ اهل البادية من العرب فعوّلوا على تضحيتهِ للعزّى كوكب الصبح. وقد وصف الكاتب ما كان دارجاً عندهم من العادات في مثل هذه المناسك فنرويه هنا معرّباً للدلالة على ديانتهم فقال يذكر تفاصيل ذبائحهم (٢ :

« وليس لهؤلاء الهمج دين الّا انّهم يكرمون كوكب الصبح (العُزّى) ويخرّون له ساجدين ويضحّون لهُ اجود أسرائهم الذين اخذوهم في الغزوات وهم يفضّلون لذلك الشبّان اذا كانوا في عزّ الشباب وصبيحي الوجوه. ويعدّون لهذه الغاية مذبحاً من الحجارة والصخور التي يكوّمونها وينتظرون الفجر حتى اذا لاح كوكب الصبح يضربون الضحيّة بالسيوف ويشربون دمها. وعادتهم اذا لم يقع في يدهم احد من الاسرى ان يضحّوا ناقةً من البيض خالصة البياض فينيخونها ويدورون حولها ثلاثاً ثمَّ يتقدّم كاهنهم او زعيمهم بكل رونق وهم يتغنّون باغانيهم فيضرب بسيف اوداج الناقة ويتناول دمها فيشربهُ ثم يركض الباقون ويقطع كل منهم قطعة من الذبيحة فيأكلونها نيئة ويسرعون في ذلك لئلّا يبقى شيء من الجزور حتى الجلد والعظام عند طلوع الشمس. . . . »

ثم انتقل الكاتب الى وصف ما جرى لابنه المترهب معهُ في جبل الطور والذي كان اسرهُ العرب وعزموا على قتلهِ للعزّى فقال راوياً لما سمعهُ من ابنهِ بعد ان نجا من الاسر:

« وكان هؤلاء الغزاة عزموا على تضحيتي لنجم الصبح فأعدّوا كلّ شيء للذبيحة في سحر اليوم التالي فاقاموا لذلك مذبحاً وهيّأوا السيف والسكّين والاقداح والبخور وكنتُ انا مُلقًى على وجهي على الحضيض اذا نفسي فكانت مرتفعة الى الله ادعو اليهِ بحرارة كي ينقذني من هذا

١) اطلب كتابهُ Porphyrius: *De abstinentia* II, 56

٢) اطلب اعمال الآباء اليونان لمِن Migne, PP. GG. LXIX, 611

المطر العظيم . . . وكان البرابرة قضوا قسماً كبيراً من ليلهم اكلاً وشرباً ورقصاً حتى غلب عليهم النوم فهجعوا الى الصباح ولم يستيقظوا الّا والشمسُ قد طلعت وفات وقت الضحيّة . . . فلمّا رأوا ذلك اخذوني الى قرية تدعى « سوقا » وشدّدوا بمثّلي امام لعلها ان لم يتّخذني احد منهم . فرحمني احدهم ودفع فديتي وامرّ شأني اسقف المحلّ وها انا الان عائد الى والدي »

وكانوا يصبّون دم الضحايا على الانصاب ويطلون بهِ اجسامهم ويمسّون بهِ ايديهم عند حلفهم دلالةً على صدق مواعيدهم ومنها « اليمين الغموس »

بقيّة اديان الجاهليّة غير النصرانيّة

كان الشركُ يعمُّ كما ترى بلاد العرب في الجاهليّة ولا نريد ان نحدّد هنا زمنهُ هل امتدَّ الى مدّة القرون التي سبقت الاسلام او هل شمل انحاء الجزيرة التي عرفت الاله الواحد الصمد فندع الامر لما بعد

وانّا نضيف الى قولنا السابق ما عُرف من الديانات الأُخر في جزيرة العرب غير النصرانيّة بوجيز الكلام

(المجوسيّة) ديانة قدماء الفرس الذين كانوا يعبدون النار ويرون فيها صورة اللاهوت ويقرنون بها عبادة النور . اخذوا هذا الدين من كيومرث احد اجدادهم وخصوصاً من زرادشت حكيمهم . فهل أثّر هذا الدين في العرب فالامر ممكن بل هو محتمل لتقرّب بلاد العرب شمالاً من الفرس ولخدمتهم لملوكهم . وممّن اشاروا الى دخول المجوسيّة بين العرب ابن قتيبة فزعم انّ المجوسية كانت في تميم والله اعلم

(الصابئيّة) اذا اريد بها عبادة النجوم والسيارات السبع فانها انتشرت خصوصاً في جنوبي جزيرة العرب . اما اذا اريد بها شيعة المندائيين الذين لا يزال منهم بضعة الوف في العراق فانّ تأثيرها في العرب كان منحصراً ومن اراد تاريخ هذه الشيعة فعليهِ بالمقالات المطوّلة التي نشرها حضرة الاب انستاس في المشرق في سنواتهِ الثالثة والرابعة والخامسة فانّهُ استوفى فيها الكلام

ويلحق بدين الصابئين مذهب الحرّانيين الذين عبدوا النيّرات السماويّة مدة اجيال طويلة وكان لهم بيت في حرّان يعظّمونهُ بقي الى خلافة المأمون فأُخرب . وكذلك الثنويّة المنسوبة الى ماني وتدعى ايضاً بالثنويّة لقولها بوجود مبدأين متناقضين هما النور والظلمة وآل امر هذه الشيعة الى الزندقة وقالوا قول الدهريين

(اليهوديّة) دخل اليهود في ازمنة مختلفة في جزيرة العرب فاستوطنوا في بعض

جهاتها . وعلى الاخص بعد جلاء بابل لما فرَّ بعض بني اسرائيل من وجه الاشوريين فتوغلوا في انحاء العرب . وحدث مثل ذلك بعد خراب اورشليم على يد الرومان اذ تشتت شمل اليهود . وكانت سكناهم خصوصاً ما وراء بحر لوط وفي جهات تيماء ووادي القرى في يثرب وخيبر وبعض احياء اليمن . ولم نعلم من اخبارهم الا النزر القليل (له بقية)

مطبوعات شرقية جديدة

كتاب الكاثوليكي العامل

نقلهُ عن الافرنسيَّة الخوري يوسف ميلاد الحائك

طبع في المطبعة الانطونية في بعبدا سنة ١٩١٠ (ص ٢١٦)

قد بلغنا الى زمن يُقضى فيه على المسيحي ان يدافع عن ايمانهِ وان يسعى بصلاح قريبهِ ومناهضة العاملين على فسادهِ . ومن ثم سُررنا بان حضرة الخوري يوسف ميلاد الحائك احد اساتذة مدرسة الآباء اللعازريين في دمشق نقل من الافرنسيَّة كتاباً اثنى على مؤلفهِ قداسة الحبر الاعظم والاساقفة الاسبانيون وهو الاب بالو اليسوعي الاسباني . ولما انتشر هذا التأليف نُقل الى عدَّة لغات لثقاتهِ اذ جمع فيهِ صاحبهُ وصف الفضائل التي يحقُّ الكاثوليكي ان يتحلَّى بها في عهدنا مع ارشاد المؤمن الى كل اعمال الغيرة التي من شأنها ان تجذب القريب الى الصلاح وتنقذهُ من وهدة الضلال وذلك على طريقة قريبة المنال تشبه كثيراً طريقة صاحب الاقتداء بالمسيح . فنشكر حضرة المعرّب على عملهِ ونحثّ المؤمنين على امعان النظر في هذا الكتاب والسير على موجب تعاليمهِ ل . ش

مطبوعات مطبعة المقتبس

اهدانا جناب الاديب محمد افندي كرد علي صاحب مجلة المقتبس ومنشئها البليغ الكتب التي نُشرت في مطبعتهِ وكان قسم منها طُبع في مجلتهِ ثم أُعيد طبعها على حدة تسهيلاً للمطالعة . فاوَّلها (رسائل البلغاء) جمع فيها ما وقف عليهِ من رسائل كاتبين جليلين يغني اسمهما عن وصفهما وهما عبدالله بن المقفع وعبد الحميد بن يحيى وآثارهما هذه لم يُطبع منها الَّا القليل كالدرَّة اليتيمة التي تولَّى طبعها سابقاً جناب الامير شكيب

ارسلان وكرّر طبعها. ثم رسالة عبد الحميد الى الكتّاب تجدها في مقدمة ابن خلدون وقد وقفنا على نسخ منها فيها روايات حسنة ندونها في المشرق ان شاء الله. والثاني من هذهِ المنشورات (كتاب القضاة والنوّاب) وفيهِ كلام مجمل عن تاريخ القضاء وولاية المظالم والقضاء في الدولة العثمانية واوصاف القضاة الشرعيَّة واحوالهم الاخيرة ونظرة في اصلاحهم وكلها فصول حسنة لجناب شكري افندي العلي الدمشقي تدلُّ على علم كاتبها وعلى حصافة عقلهِ وحسن رأيهِ وتنفيد اهل الشرع خصوصاً. والثالث (تاريخ الحضارة) للمسيو شارل سنيوبوس احد اساتذة كليَّة باريس. وهو تاريخ يجمع بين الافادة واللذة اصاب في فرنسة شهرة كبيرة لولا ان صاحبهُ متطرّف لهُ احكام في النصرانيَّة لا تتطبق مع رواية الكتبة الموثوق بهم. على ان هذا القسم الاوّل معتدل المشرب وقد احسن المترجم في تعريبهِ. والكتاب الرابع (غرائب الغرب) وهو تاريخ رحلة منشئ المقتبس الى بلاد الغرب فوصف فيهِ اجود وصف ما شاهدهُ من احوال الغربيين عموماً والفرنسويين خصوصاً فاجتمع بارباهم وزار معاهدهم وتفقّد متاحفهم ودرس عمرانهم ودوّن كل ذلك بكتابهِ وعرضهُ على احوال الشرق وآدابهِ الاجتماعية وتمنّى لبلادهِ ما وجدهُ بين الاجانب من الترقّي واسباب الفلاح. وكانهُ سُحر بالتمدُّن الغربي حتَّى غبطهُ لبعض الشؤون التي نرى اضرارها اعظم من منافعها. ولجنابهِ في فصل تاريخ حضارة فرنسة عدَّة اقوال ينفيها التاريخ المدني الصحيح فضلًا عن التاريخ الديني فمن ذلك قولهُ (ص ١٣٨) «بان الكنيسة اصبحت (قديمًا) حكومة وسط حكومة». وقولهُ (ص ١٤١) «ان من العرب اخذ الفرنسيس فيما مضى حضارتهم». وقولهُ (ص ١٤٠) «ان مرسيلية مدَّة قرون كانت منبعث العلم الوحيد في بلاد غاليا» الى غير ذلك مما يطول بنا شرحهُ. ومع هذا فانا نقرّ بان كثرة محاسن الكتاب تشفع في هذه الاقاويل غير السديدة ل. ش

رواية غادة عمشيت

تأليف السيّدة عفيفة كرم (مطبعة جريدة الهدى في نيو يورك)

كأني بعدد من الكتبة لا يستطيعون ان يكتبوا مقالة او ينشئوا رواية ان لم يتركوا العنان لقلمهم فيصبّوا سيول انتقادهم على كل سلطة دينيَّة او زمنية فيصورونها بأشنع صور الظلم والاستبداد وهم يستشهدون الله والناس أنَّ غايتهم مقدَّسة وان لا

رغبة لهم الّا في التقدّم والترقي الادبي والوطني والديني فقد جماهم الله وجعلوا انفسهم قادة الشعب وأنبياء الاصلاح ولساتذة الادب ورقباء الدين واصحابه . ولنا شاهد على قولنا في رواية « غادة عمشيت » للسيدة عفيفة كرم فان الموضوع جليل والانتقاد واسع الارجاء يشاركها فيه كل عاقل متديّناً كان او كافراً وهو الزواج المخالف لناموس الله والبشر او قل مع الكاتبة « بيع الرقيق » اذا ما زُوّجت طفلة من شيخ بالرغم عنها طمعاً من الوالدين بدراهم الخطيب فيظلمون ابنتهم ويجلبون عليهم وعليها شرّ الويلات . وهي عادة قبيحة جائرة بحقوق الانسان ينكرها العقل وتشدّد الكنيسة عليها النكير بحيث انها لا تعتبر زواجاً ، لا يتمّ بالرضى الصريح المتبادل واذا ما ضُغط على ارادة احد المتزوجين ضغطاً أبطل الرضى أبطل معهُ الزواج واعتُبر كأنهُ لم يكن . فما كان الاحرى بالكاتبة الاديبة ان تسرد اخبار روايتها وتأخذ بناصر المظلومات من جنسها وتدع السبّ والشتم جانباً لكان ذلك اليق واجمل بسيدة محتشمة تُعتبر من ذوات الذوق والادب والتدين . فاسمعْ واحكمْ :

« ان اكثر رجال هاتين الفئتين (اي الديانة والحكومة) ذوو استبداد وظلم وفساد وشرّ . . . فهؤلاء الذين جعلهم المسيح رعاة القطعان يأكل اكثرهم الخراف ويتمسون بصوفها ويمتصون دماءها فيبعدون بعضها عن الحظيرة بأعمالهم هذه ويسلبونهم الشرور ويسحقون البعض الآخر ضغطاً تحت صلبان المظالم ومظالمهم ونير استبدادهم الخ . . . (ص ٢٦٦)

وامثال ذلك كثيرة في الرواية . ولو شئنا ان ننتقد على نسق الرواية ووصف العواطف التي زيّنت الكاتبة بها ممثليها لطال بنا الشرح لما في كثير منها من الخلل والخلط بين الشواعر المتباينة وتأليه الحب البشري ونقل الافكار الاميركية الى رؤوس لم تألفها بل أنفت سواها . ولو نظرت الكاتبة نظرة انصاف وتروٍّ لاصاحت وافادت ووجدت عذراً لعوائد لا تُستأصل الّا مع الايام ولا تخلو بلاد منها او مما يضاهيها

فليس الاب الجائر على ابنته هو السبب الوحيد لما قد يحدث بين المتزوجين وفي العائلات من عدم ائتلاف القلوب وعذاب احد المرتبطين او كليهما . هي الدنيا تغشّ الناظر اليها نظراً سطحياً . هو القلب البشري قد يتقلّب مع الايام فيحبّ اليوم ما ابغضهُ بالامس او يبغض ما احبهُ والعاقل من تغلّب على الاهواء واحتمل المصيبة بحكم الواجب وحكم الدين . وقد اهدت الكاتبة روايتها الى الفتيات والسيدات اللبنانيات فلا نظن ان الرواية كما هي تجديهن نفعاً ادبياً

ا . ر .

J. Linder s. j: Die Heilige Schrift für das Volk erklaert, *Klagenfurth. St Josef-Vereinsdruckerei, in-4.* 1910

شرح الكتاب المقدس للعموم

باشر الاب لندر تأليف كتاب طلب منهُ اهل المانية ان يضمنهُ اخبار الاسفار المقدَّسة ويشرحهُ على طريقة قريبة المنال ويودعهُ خلاصة الاكتشافات الاثريَّة الحديثة · فاجاب الى دعوتهم بما عُهد فيهِ من الهمَّة والعلم وحضرتهُ كفء لمثل هذا العمل اذ درَّس الكتاب المقدَّس في مدرسة كلاغنفرت الاكليريكيَّة ثم في كليَّة انسبروك في النمسا وتجوَّل في جهات الشرق · وهذا القسم الاوَّل الذي ارسلهُ الينا من كتابهِ يحقق حسن ظن الجمهور في مقدرتهِ اذ لم يوفر شيئًا مما يزيد الناس اقبالًا في الكتب الحديثة من جودة الطبع وكثرة النقوش وجمال التصاوير فتجد في هذا التأليف كثيرًا من الآثار التي نُشرت متفرقة في كتب العلماء كاثر ميشا ملك مواب واثر عين سلوان ومجموع الكتابات السامية الى غير صور جميلة · ومما نثني عليهِ خصوصًا في هذا الكتاب محافظة المؤلف على الاراء الصوابيَّة المثبَتة من العلم الصحيح والتقاليد الصادقة فلا يجد القارئ عثرةً في مطالعتها · فيا ليت مثل هذا الكتاب يُنقل الى لغتنا العربيَّة لفائدة اهل بلادنا

الاب ب · جرون

Beihefte zur orientalistischen Litteratur-Zeitung, herausgegeben von F. E. Peiser. II. *Berlin.* 1908

ابحاث شرقيَّة

يحتوي هذا المجموع اربعة ابحاث مختلفة الطول في اربعة آثار شرقيَّة الاوَّل للدكتور شتارك (Stark) مدارهُ على الكتابات الآرامية التي وُجدت حديثًا في جزيرة اسوان ومرَّ للمشرق فيها كلام واسع · والمؤلف زاد على ذلك ملحوظات مفيدة في يهود مصر ومستعمراتهم المختلفة هناك استنادًا الى بعض آيات الاسفار المقدَّسة · والثاني لفليكس برلس (F. Perles) يبحث في احد الكتب المصنوعة التي شاعت قديمًا ونشرهُ المسيو تشرلس (Charles) سنة ١٩٠٨ اسمهُ عهد الآباء الاثني عشر وخصَّ نظرهُ بنقد لغته الربَّانيَّة وخواصّها · والثالث للمستشرق اونغناد (A. Ungnad) يحتوي بعض كتابات في البابليَّة الحديثة مع ترجمتها الالمانيَّة وشرحها · والاثر الرابع والاخير عدَّد فيهِ المسيو هرتسفلد (Ernest Herzfeld) اسماء ١٨١ نباتًا ورد ذكرها في المخطوطات الحجريَّة

الاشوريَّة وعرَّف حقيقتها مع ذكر اسمائها العربيَّة كما سمعها من اهل قرية جُبُّور في ريف العراق. فمن هذا الملخص تستدلّ على فوائد المجموع الاب ب. جوون

Répertoire général annoté de la Législation et de l'Administration Egyptiennes (3 vols) — Les Codes Egyptiens annotés, par **Philippe Gelat.** *Alexandrie, J. C. Lagoudakis* 1906-1908 et *le Caire, n. Mitri* 1908

قاموس العام للادارة والقضاء — كتاب التعليقات القضائيَّة

تأليف جناب الاديب فيليب بك جلاد

في مطبعة المعارف في مصر ومطبعة يني لاغوداكي في الاسكندريَّة

ساءنا ما كتبتهُ جريدة المؤيد في احد اعدادها المؤخرة عن مدارس الاجانب وخصوصاً عن كليَّتنا حيث قالت انهُ لم ينبغ من تلامذتها احد في العربيَّة وانها لا تعرف لاحد منهم تأليفاً خطيرًا . وفي تآليف الاديب فيليب بك جلاد « مندوب قلم قضايا الحكومة لدى المحاكم الاهليَّة وسكرتير ادارة المجموعة الرسميَّة بنظارة الحقانيَّة في مصر » شاهد جديد يضاف الى شواهد عديدة سبق لنا ذكرها (في المشرق ٥ : ٩٢٣—١٣٢) على بطلان هذا القول واحسن جواب على صاحبه. فانَّا كنا عرفنا مؤلف هذه المصنَّفات اذ كنَّا نتلقَّى العلوم معهُ على الآباء اليسوعيين في غزير فلم يزل مذ ذاك الحين يتقلَّب في الدواوين الشرعية ويستلفت اليه نظر الحكومة المصريَّة حتى احرز لهُ ثقة اربابها لاسيما بعد نشره تآليفهُ المتعدّدة في العربيَّة والفرنسويَّة اخصُّها كتابهُ النفيس المعنون بقاموس الادارة والقضاء عن المدَّة من السنة ١٨٤٠ الى ١٩٠٦ في ستة اجزاء ضخمة في الفرنسويَّة والعربية . ولهُ كتاب التعليقات القضائيَّة على قوانين المحاكم المصريَّة وهو الكتاب المعنون آنفاً . وكتاب الاحوال الشخصيَّة للطوائف غير الاسلامية وهو اوَّل كتاب صدر في نوعهِ جمع فيه المؤلف كل احكام المسيحيين والاسرائيليين نقلاً عن كتبهم الدينيَّة ومجامعهم والامتيازات الممنوحة لهم من السلاطين العظام . ولهُ كتاب الآثار الرسميَّة في الخديويَّة المصريَّة وهو يتضمَّن الفرمانات السلطانيَّة والعقود الدوليَّة من السنة ١٨٤٠ بخصوص الخديويَّة المصريَّة . فهذه المؤلفات وغيرها كذلك ممَّا لا يسعنا الَّا التلميح اليهِ تنطق بفضل صاحبها وسعة علومهِ القانونيَّة . نفع الله بهِ الاوطان سنين طويلة ل. ش

الدروس العثمانية

تأليف عثمان افندي رمضان (طبعة ثالثة في مطبعة الاتحاد ١٣٢٨ ص ٨٠)

انّ تكرار طبع هذا الكتاب دليل ظاهر على رواجهِ وعلى اصابتنا في الثناء على محاسنهِ في المشرق (٩: ١٠٥٧ و١٠: ١١٣٣) فنشكر للهادي هديتهُ ونتمنى زيادة في الاقبال على هذه الدروس بين ابناء الوطن لتربطنا مع العاصمة روابط اللسان كما تضمّنا اليها عواطف الجنان ل٠ش

الاسلام حافظ الذمم في ما بين الامم

تأليف عبد الوهّاب افندي سليم التنير

بيروت، مطبعة الاتحاد ١٣٢٨-١٩١٠ (ص ٤١)

يذكر قرّاؤنا انتقادنا على كرّاسة الذمم في ما بين الامم وما اخذنا على مؤلفها رور ب٠ كرقس ومعرّب الكتاب القس بشاره البارودي البروتستانيين٠ وقد احبّ جناب الاديب عبد الوهّاب افندي سليم التنير ان يزيّف مزاعم الكاتبين بخصوص الاسلام٠ وفي ردّهِ هذا دليل على انّ التأليف لم يجد حظوى عند مسلم ولا نصراني ١٠ر

نظام لبنان الاساسي وقرارات الدول

للمحامي يوسف افندي السودا

طبع في مطبعة المعارف في مصر سنة ١٩١٠ بالعربية والفرنسوية (ص ٦٠)

انّ امتيازات جبل لبنان لمّا يحسدهُ عليها كثير من البلاد٠ كما يظهر من هذا الكتيّب الصغير الحجم الواسع الجدوى الذي اودعهُ صاحبهُ الاديب نظام الجبل معرّبًا مع القرارات التي اتّفقت عليها الدول بعد حوادث سنة ١٨٦٠٠ فأثبتها وعلّق عليها عدة حواشي مفيدة وبيّن ما طرأ عليها من التحويرات وكيف تتهدّدها المصالح الخصوصية٠ وقد قدّم على ذلك فصلًا مفيدا في بيان استقلال لبنان تاريخيًا مستندًا الى بعض الشواهد التي نراها ادلّ على منعة الجبل منها على استبدادهِ بالحكم والله اعلم ل٠ش

تقويم البشير وروزنامة المشرق

عاد تقويم البشير الى النور بعد احتجابهِ سنتين وقد لبس هذه المرّة ثوبًا قشيبًا من الحسن يزيد القرّاء رغبة في مطالعتهِ وهو يتضمّن من الفوائد والمعلومات ما يطول

تعداده وتجد فهرسة في العدد الاخير من جريدة البشير (٢٢ ت ١ العدد ١٦٨٦). اما روزنامة المشرق فهي على ما عرفها الكل من زهو الالوان وضبط الحسابات وقد اضيفت اليها فوائد جمّة علمية وادبية ودينية

ل. م

شذرات

الروم الكاثوليك الملكيون في الولايات المتحدة — كتب الاب الصمودي شبان في مجلة اصداء الشرق (Echos d'Orient, XIII, 10) مقالة عن المهاجرين الى اميركة من ذوي الطقس البوزنطي فافرد هناك فصلاً للروم الكاثوليك الملكيين نستعير منهُ الافادات الآتية. اول ما دخل المهاجرون السوريون في الولايات المتحدة سنة ١٨٨٦ وكانوا من طوائف شرقية مختلفة بينهم قليل من الروم الملكيين فبقوا هناك متفرّقين ولم يزل يزيد عددهم حتى ارسل اليهم غبطة السيد غريغوريوس يوسف كاهناً من طقسهم وهو القس ابراهيم بشوان احد ابناء الرهبانية المخلصية. فتجوّل بينهم بصفة مرسل وانشأ لهم رسالات في مدن مختلفة عيّن لخدمتها كهنة آخرين طلبهم من بلاد الشام لمساعدته. وكان وجّه اهتمامهُ اوّلاً لمدينة نيو يرك ونال من اسقفها ان يفرز لهم قسماً من الطبقة السفلى من كنيسة مار بطرس في حي بركلاي (Barclay) ليتميّوا فيها طقوسهم لكنهم اليوم قد ابتاعوا لهم ارضاً واسعة في حي بروكلين (Brooklyn) وغايتهم ان يشيدوا لهم فيها كنيسة

وقدم الى الولايات المتحدة عدّة كهنة بعد الاب بشوان واحتلّوا في مدن مختلفة وعمّروا كنائس والمعابد. وهذه كانت حالة كنيستهم في العام السابق: بلغ عدد كنائسهم ومجتمعاتهم في الولايات المتحدة وفي حدود كندا اربعة عشر مقاماً. وبينهم كهنة يتجولون في المدن ليزوروا فيها ابناء طائفتهم المتفرّقين. وللروم الكاثوليك اربع كنائس كبرى في لورنس من مقاطعة مساشوستس وفي كلفلند في معاملة اوهيو وفي دوبوا من بنسلفانية وفي لا كروس في وسكونسن. وكنائسهم صغيرة في بقيّة الامكنة لغلاء اسعار العقارات في المدن الكبرى. وربّما اجتمعوا في الكنائس المحلّية اللاتينية او في معابد خاصة. امّا عدد الروم الكاثوليك في الولايات المتحدة فيبلغ من ٨،٠٠٠ الى ١٠،٠٠٠

واكثرهم في بلاد نيو انغلند وفي پنسلفانية وفي اوهيو وفي الينوا وكهنتهم ١٣ منهم سبعة رهبان مخلصيون و٤ رهبان شويريون و كاهنان عالمانيّان من ابرشيّة بيروت. وليس لهم مدارس واولادهم يتعلمون في المدارس اللاتينيّة ولهم جريدة تدعى الكون تُطبع في نيويرك واخويّة على اسم مار جرجس. هذا فضلاً عن ٢٠,٠٠٠ من الروم الكاثوليك الايطاليين والالبانيين الذين هاجروا من جنوبيّ ايطالية وصقلية والبانية الى اميركة

مؤتمر الماسون السنوي في ايلول الماضي عقد الشرق الفرنسويّ السامي حفلتهُ السنويّة في باريس فكان من جملة الامور التي بحث فيها الاخوة ∴ ان يسعوا في ابطال العقاب بالموت (لكثرة المجرمين الماسون) وفي نشر الآداب العلمانيّة (اي اللادينيّة) وفي المراقبة الماسونيّة (اي التجسُّس لما كسة كلّ اعداء الماسونيّة واهباط كل من لم يوافقها في مبادئها الفاسدة) وفي الغاء المدارس الدينيّة في اسبانية والبرتغال وغير ذلك مما يكشف للعيان فضلاً عن المتّحين غايات الماسونيّة الصحيحة التي كانت سابقاً تخفيها غاية امكانها وتحظر على ذويها نشرها تحت عاقبة القصاص الصارم وهي الآن ظاهرة للعيان على رغم منها او قل بالحري برضاها اذ لم تعد تستحي من قبائحها وآثامها في حقّ الالفة الاجتماعيّة. وفي باريس اليوم جمعية وطنية اخذت على نفسها كشف المكايد الماسونية وازالة القناع عن مآتمها فمن اراد الوقوف على منشورات هذه الجمعية فليطلبها بهذا العنوان : (Bureaux de l'Association anti-maçonnique, *rue de Grenelles, 42., Paris*)

ومما بحث فيه اهل المؤتمر مراقبة الصناديق المالية في المحافل الماسونيـة لأنهُ ظهر انَّ عدداً من الاخوة ∴ يجبُون دراهم الشيعة اكثر من مبادئها فيدخلون فيها ليملأوا اكياسهم من مالهم ولا حرَج لأنَّ هؤلاء يمشون على تعاليم الماسونيـة (اطلب المشرق السابق ص٧٧٢)

فمن هذه الخلاصة ترى انَّ احوال الماسونية في اضطراب وحبلها في انتقاض حتى في مراكزها العليا. ولنا على ذلك دليل اوضح في ما جرى من الانقسام بين ماسون فرنسة فانَّ فئةً منهم أنِفوا مما اتاهُ اخوتهم من الاعمال السيئة التي وصفناها في مقالاتنا السابقة عن آداب الماسون فاجتمعوا في باريس في حزيران سنة ١٩٠٨ وحرموا (كذا) شرق فرنسة الاعظم واتّفقوا على انشاء ماسونية «انظف». وقد وقفنا على خطاب

الدكتور پاپوس (Dr Papus) في هذا المعنى فكأنه وحزبهُ خجلوا من مآتم رصفائهم فرأوا انَّ الماسونية على شفا هار اذا بقيت على تطرُّفها ومعاداتها لكلّ دين ولكلّ سلطة

على الماسونية السلام ✻ وليست هذه الاضطرابات في فرنسة وحدها بل حصل مثلها في المانية واميركة . وقد روى البشير (في عددهِ ١٩٩٤) عن الاهرام ما حدث من الخلاف بين الماسون في مصر لسبب انتخاب مجلس الادارة للمحفل الاكبر مما سُمع صداهُ من وراء جدران ذلك المحفل ووصل الى القهاوي وانديةِ العموم فضلًا عن الخاصة ولم يسبق لهُ نظير في تاريخ الماسونية لاسيما اذ اراد البعض تعيين لجنة لمراجعة حسابات مجلس الادارة لاستدلالهم على التلاعب بمالية المشيرة. وقد اردف الاهرام انَّ كبار الرجال والموظفين العظماء الذين كانوا في الماسونية تركوها ولم يشتركوا في انتخاباتها وختم بقول « ماسونيّ بائس »: « اذا كانت هذه حالة الرؤساء الذين يحيطون بادريس بك (رئيس الماسونية في مصر) ويزينون لهُ كلّ عمل فقل على الماسونية السلام وعلى الحريّة السلام وعلى الله ما لنا واتعابنا والمشاقّ التي تكبدناها والسلام على من اتبع الهدى » بل قل من تسكّع في الظلام!

وكنّا سمعنا قبل هذا صدى ماسونية لبنان فاذا هو يضرب على وتر واحد فان جناب مدير الناظر في عددهِ ١٠١٧ ابدى اسفهُ على ما صارت اليهِ حالة الماسونية في الجبل من ترع اصحابها الى اغراضهم الخاصّة وسهوهم عن خدمة المشيرة حتى رأى الكاتب « انَّ اكليروس لبنان يفضَّل على الماسونية » (كذا) وما الطف هذه المقابلة!

✻ التطوّع في الجيش الابيض ✻ انبأنا القراء (راجع ص ٧١٨) عن اسم المشعوذ الذي تهدّدنا باسم الجيش الابيض بالموت الزؤاف. ثم اثبتنا شيئًا من كتاباتهِ الكفريّة (ص ٧٩٧) وقد ورد علينا اليوم شاهد جديد يؤيد قولنا بتزوير تلك الصحيفة فأنّ جريدة المنارة في سان باولو نشرت في عدد ٥٦٦ الصادر في ١٤ ايلول ١٩١٠ تلك الرسالة التهديديّة التي صورناها في المشرق (ص ٦٠٠) واضافت اليها ما حرفهُ:

« وهناك (اي في الرسالة) رموز كثيرة منها رسم الشمس وخنجر تحتها وجمجمة والامضاء منهُ حرف غير واضح وحرف واضح مربعًا ح ا (اي حدّاد جرجي). ونحن نعرف صاحب هذه الرسالة من خطّهِ المحفوظ عندنا فهو من غير جالية ريو دي جانيرو وهو شخص فرد لا يخلو من طرف الجنون. ولسنا الان نصرّح باسمهِ بل نسألهُ وهو يعرف نفسهُ ان يقلع عن مثل هذا التهويل العقيم ». أَفسمعت يا افندي ما يقولهُ عنك الذين يعرفونك؟!

ميكروب الخصب ليست كلّ الميكروبات مضرّة فان منها قسماً يفيد الحيوان والنبات. فمن مرويات المجلات العلمية انّ الدكتورين رسل وهتشنصن اللذين عُنيا سابقاً بدرس الميكروبات الزراعيّة الضارّة والنافعة لمثل تلك واناء هذه اكتشفا آخراً ميكروباً يقتل البكتريا اللازمة لخصب الارض فتوقعا لوضع علاج لهُ بالحرارة ومضادّات الفساد واعلنا اكتشافها في المؤتمر الطبي الاخير وهو كما قيل اعظم اكتشاف زراعي منذ ٥٠ سنة

أسئلة وأجوبة

س سأل حضرة الخوري غ.ح ما قولكم في الاب يوحنا بنطاس ومتى عاش وهل كتبهُ اللاهوتية يعوَّل عليها وهل هي مثبوتة من الكنيسة وهل للاب المذكور كتاب فتاوى في اللاهوت الادبي

الاب يوحنا بنطاس

ج الاب يوحنا بنطاس خوري فرنسوي عالمي ولد سنة ١٦٣٨ وتوفي سنة ١٧٢٨ لهُ عدّة تآليف في مسائل الذمّة اكسبتهُ بعض الشهرة الّا انهُ ليس في الشهرة والعلم في منزلة بعض كبار اللاهوتيين كالقديس الفنس دي ليغوري وكسترو بالاو ديرزنيو ولم تثبت الكنيسة تعاليمهُ ولا يعوّل على كلامهِ اذا انفرد برأيهِ وان كان من مستقيمي الايمان وتآليفهُ قد عتقت اليوم فلا يكاد يستند اليها احد

س وسأل مستفيد ما رأينا في ما كتبتهُ مجلّة الكوثر في عدد شوال ١٣٢٨ ص ١٧٣ حيث قالت: «اذا نظرنا الى بلدتنا بيروت فقط نرى انّ اكثر الجمعيات المشكلة فيها لعمل الخير اساسها الماسونيّة وان لم يكن الّا مساعدتها مشروع المستشفى الذي رُتّب في هذه الايام الاخيرة لتخفيف ويلات المصابين بهذا الداء لكفاها عملًا حسناً »

الاعمال الخيريّة في الماسونيّة

ج كنا قرأنا نحن ايضاً هذه الاسطر وارسلنا بعض وكلائنا ليتحقق عند ذوي العلم والاستقامة صحة هذه المدّعيات فجاءنا مشدّداً النكير على هذه الاعمال الخيريّة المزعومة اذ لا يُعرف في كل بيروت مشروع واحد خيري تعضدهُ الماسونيّة. وان وُجد بعض الافراد من الشيعة يساعدون الاعمال الخيريّة فيفعلون ذلك بصفة محسنين لا علاقة لهم مع الشيع السريّة. فنطلب من صاحب مجلّة الكوثر ان يفيدنا عن هذه الجمعيات الماسونيّة التي اشار اليها ويذكر صريحاً اعمالها والناظرين بمصالحها فندرج قولهُ في مجلتنا ليكون الناس على بصيرة من حسنات الماسونية المجهولة ل.ش